الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصّديق بن يحيى–جيجل–
كليةالآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنـــوان:

# جَدَلِيَّـةُ السّجّـانِ والسّجيـنِ فِي رِوَايَةِ (يَا صَاحِبَي السّجن) لأَيمَـنِ العَتُّـوم

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتان:
– لبنى لعويسي
– ياسمينة كحلي

إشـــراف الأستاذ:
– د. نجيب جحيش

أعضاء لجنة المناقشة

| | | |
|---|---|---|
| أ.مليكة بوجفجوف | أستاذة مساعد "أ" | رئيسا |
| د.نجيب جحيش | أستاذ محاضر قسم "ب" | مشرفا ومقررا |
| أ.زهيرة بولفوس | أستاذة مساعدة–أ– | مناقشا |

السنة الجامعية: 2021/ 2022م 1442/ 1443هـ

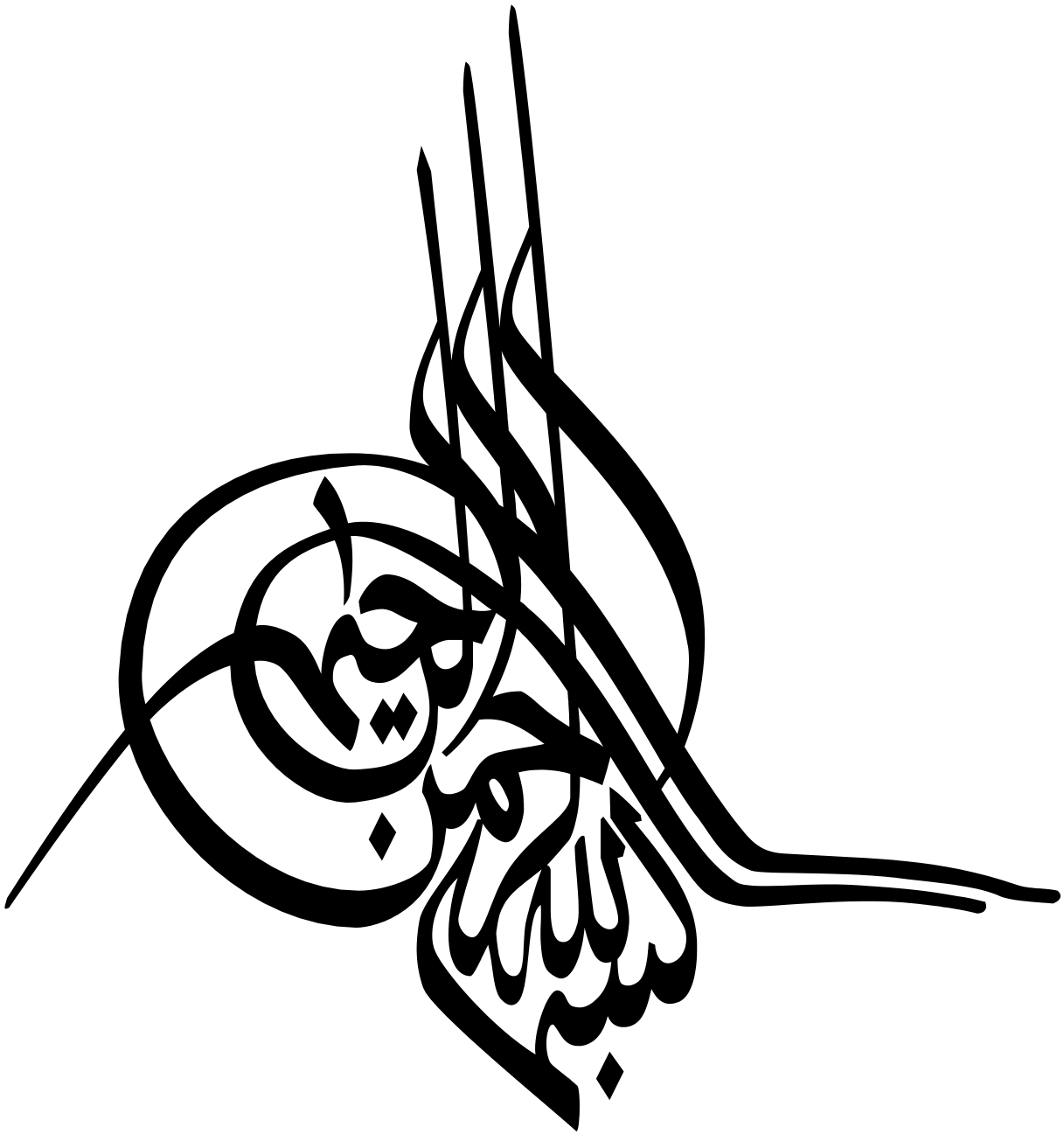
بسم الله الرحمن الرحيم

# شكـــــر وعرفـــــان

قال الله تعالى﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ ﴾

فالحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل

وعملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم

"من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الإمتنان إلى الأستاذ المشرف

"د.نجيب جحيش" الذي كان نعم المشرف ولم يبخل علينا بتوجيهاته، وإلى كل أساتذة وطاقم كلية الآداب واللغات

إلى كل من ساهم في إتمام هذا العمل من قريب أو بعيد

# مقدمة

الأدب ذلك العالم الذي يرسم لك المجتمع بقسماته مشرِّحا إياه، مشخصا ومصوّرا حالاته الحقيقية والواقعية، أزمة أزمة وقضية قضية، لذا كان الأدب دائما المعبر الأول عن ما يسمى بالقاسم المشترك بين أفراد المجتمع بمواضيعه المختلفة وقضاياه المتعددة: الاجتماعية منها والدينية والسياسية، هذه الأخيرة التي تعد من المحظورات (المسكوت عنه)، رغم ذلك كانت موضوعا للرواية التي تتميز بخصوصيتها وفرادتها، لما تملكه طاقات تعبيرية تؤهلها لرصد المجتمع بكل تغيراته وحركاته، كما تعد الجنس الأدبي الأقدر على استيعاب واحتواء واقع الحياة، إذ تبحث في التفاصيل والعلاقات المبنية داخل المجتمع. الرواية –ومنذ نشأتها – وهي تعبر عن المجتمع وتهتم بكل شرائحه بما فيهما المهمّشون والمغلوبون على أمرهم، ومن مورس القمع في حقهم، ولعل أدب السّجون هو أكثر ما يمثل تلك الشريحة من المجتمع التي وقعت ضحية أفكارها في يد السلطة فدونت في قالب روائي، على اعتبار أن هذه القضية تحتاج للكتابة وتسطيرها، فتجربة السّجن بكل ما تحمله تجربة قاسية جدا يمكن أن يمر بها الإنسان–أي إنسان– مظلوما أو ظالما.

نقول: تجربة السّجن تجربة تستحق أن تكون مُندرجة ضمن أدب السجون، يمتزج فيها الحقيقي بالخياليّ وكثيرا ما تحيد عن الاغراق في الخيال، إلى التعبير بواقعية عن قصة حدثت بالفعل، بما يمكن أن يحدث مقاربة فنية يصح أن تكون وثيقة شاهدة على أحداث يمكن التأريخ لها انطلاقا من عمل روائي أدبي خالص.

تكمن قدرة السّجين في تحرير نفسه بقدرته على الكتابة، التي كثيرا ما كانت أكثر صدقا في التعبير عن تعاسة حياة السّجن وبشاعتها، حتى إنها تفقد المرء آدميته، أضف إلى ذلك تسلّط السّجّان وسوداوية الزنزانة، ليضع في يد القارئ وثيقة شاهدة على ظلم السّجّان، وأمام كثرة الأدباء والذين كتبوا في موضوعة السّجن. يقف الروائي الشاعر أيمن العتوم وهذا من أبرز هؤلاء، ذلك أن كتاباته عن السّجن ناجمة عن تجربة شخصية عاشها ومر بها، من تم وصفها وجلّدها في أكثر من رواية، ونستطيع أن نحصي له ضمن ذلك: تسعة عشر، ويسمعون حسيسها، ويا صاحبي السجن ، وهذه الأخيرة نقلت لنا الشخصيات بتفاعلاتها داخل المجتمع السّجني وكيف تشكلت العلاقات داخل أفراد هذا المجتمع ومن هنا كانت نقطة بداية البحث دراسة وتحليلا في العلاقات والارتباطات الموجودة داخل عالم السجن ومن ثمّ كان عنوان بحثنا المختار حول هذه الرواية: جدلية السّجّان والسّجين في رواية (يا صاحبي السّجن) لأيمن العتوم.

ووراء كل بحث دواع وأسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

أسباب ذاتية متمثلة في قراءتنا لأعمال العتوم الأدبية، ومما شدّنا إلى أعماله أسلوبه ومواضيعه التي يطرحها والأسباب الموضوعية المتمثلة في أنّ أدب السّجون ملتزم بقضايا الإنسان وحقه في العيش الآمن إلى جانب أن العتوم يكشف عن بؤرة ظلت معتّمة في الكتابات الأدبية؛ إذ إنّه استطاع الدخول فيها وتوصيفها من الداخل، كما أن أدبه يهم كل الوطن العربي بأفراده وعلاقاته بالسلطة القهرية.

يمكن صوغ إشكالية هذا البحث بناء على ما تقدم وفق السؤال الآتي:

كيف جسّد أيمن العتوم في رواية (يا صاحبي السّجن) العلاقات بين شخوص مجتمع السّجن؟ وما الجدالية التي كانت تحكم هذه العلائق ؟

وقد اتبعنا في دراستنا منهجا ارتأيناه مناسبا هو المنهج الوصفي التحليلي.

وللإجابة عن فحوى الإشكالية فصّلنا في دراستنا بالتفصيل الآتي: بدأناها بمقدمة وفصلين الفصل الأول عنوانه: السّجن وأدبه إحاطة اصطلاحية تاريخيّة، ثم أدرجنا فيه ثلاث مباحث، الأول تناولنا فيه مفهوم السّجن وتاريخيته عند العرب، والثاني خصصناه بعنوان أدب السّجون، مفهومه، عوامل ظهوره، أجناسه وخصائصه، أما الثالث فكان بعنوان قضايا أدب السّجون ومواضيعه وأهدافه، بالنسبة للفصل الثاني: فقد كان عبارة عن دراسة تطبيقية لرواية (يا صاحبي السّجن) وقد سطرناها بعنوان: جدليّة السّجّان والسّجين وتبعاتها في رواية (يا صاحبي السّجن) لأيمن العتوم إذ تنقسم لمبحثين الأول تطرقنا فيه للتعريف بالمؤلف وروايته، والثاني جدلية السّجّان والسّجين وتجلياتها في الرواية ثم أنهينا البحث بخاتمة ملمة لأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث.

لقد كان لهذا الموضوع حضورا بارزا في الأبحاث الأكاديمية، ومن الذين تناولوه بالدراسة والتحليل نجد علي منصوري في مذكرته الموسومة بعنوان: (البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة)، والتي قدمها لنيل شهادة دكتوراه دولة في الأدب الحديث.

تتفق دراستنا مع هذه الدراسة في تبنيها لموضوع السجن وعلاقته بالأدب، ويكمن اختلافنا عنها في الطريقة المتبعة في الدراسة؛ إذ تناولناها من منظور العلاقات والارتباطات الداخلية في المجتمع السّجني، في حين درست من قبل برؤى مختلفة بحيث تم اخضاعها للدراسة الفنية مع إبراز خصائصها وتجلياتها في العمل الروائي.

طبعا لم يكن البحث ثمرة جهد فقط بل كان ثمرة أنتجتها عدة مراجع ومصادر ساهمت بشكل كبير في إثراء هذه الدراسة نذكر المصادر الرئيسية المتمثلة في:

- رواية (يا صاحبي السّجن) لأيمن العتوم.
- أحمد مختار البزرة الأسر والسّجن في الشعر العربي (تاريخ ودراسة).
- سالم المعوش: (شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر).
- ميشال فوكو: (المراقبة والمعاقبة "ولادة السجن").
- محمد التوم: (أدب السجون في تونس ما بعد الثورة بين محنة الكتابة وكتابة المحنة).

أما فيما يخص عقبات البحث والمعرقلات التي واجهتنا:

- صعوبة الإلمام بمادة كافية قادرة على جعل الدراسة غنية ومفيدة، إضافة إلى أمور أخرى نحسبها طبيعية إذ لا يخلو أي بحث منها.

وفي الختام لا ننسى أن نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور نجيب جحيش الذي أشرف على هذه الدراسة مقدما كل الدعم منهجيا، ماديا معنويا، نقول لك بوركت أستاذنا، كما لا نغفل جل الأساتذة الكرام دون استثناء من داخل الجامعة أو من خارجها ويبقى الشكر الأول والأخير لله جل وعلى الذي وفقنا في إنجاز هذه الدراسة وختامها.

**والله من وراء القصد وهو يهدي سواء السّبيل**

# الفصل الأول

# السّجن وأدبه: إحاطة إصطلاحيّة تاريخيّة

## المبحث الأول: في مفهوم السّجن وتاريخيّته عند العرب

### المطلب الأول: تعريف السّجن

**أ– لغة**

تعددت استخدامات لفظة السّجن في المعاجم اللّغوية، إلّا أن معظمها يدور حول المعنى نفسه إذ نقرأ في معجم (مقاييس اللغة) لـ "ابن فارس" إن كلاّ من «السين، والجيم والنون أصلا واحدا يؤدّي معنى السّجن بالحبس، وهو الذي يُحْبس ويُقَيَّد فيه الإنسان».[1]

أما في (لسان العرب) قوله: «الحبس. والسّجن، بالفتح: المصدر سَجَنَه يَسْجُنُه سَجْنًا أي: حَبَسَه، وفي بعض القراءة: ﴿قَالَ رَبِّ السّجن أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾**[سورة يوسف، الآية:33]**. والسّجن المحْبِس، وفي بعض القراءة: ﴿ قَالَ رَبِّ السّجن أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾**[سورة يوسف، الآية:33]**، فمن كسر السِّين فهو المحْبِسُ...، ومن فتح السِّين فهو مصدر سَجَنَه سَجْنًا...والسَّجَّانُ صاحب السّجن، ورجل سَجِينٌ: مسْجُونٌ... والجمع سُجَنَاءُ وسَجْنَى... وسَجَنَ الهَمَّ يَسْجُنُه إذا لم يَبُثّه».[2]

وجاء في (القاموس المحيط) للفيروز آبادي كلمة «سَجَنَه: حَبَسَهُ و= الهَمَّ: لم يَبُثّهُ، والسّجن، بالكسر: المحْبِسُ، وصاحبه: سَجَّانٌ. والسّجين: المسْجُون ج: سُجَنَاءُ وسَجْنَى، وهي: سَجِينٌ وسَجِينَةٌ، ومَسْجُونَة، من سَجْنَى وسَجَائِنْ».[3]

عما جاء في الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».[4]

من هذه التعاريف السابقة الذكر نرى أنّ كل تعريف يتفق مع الآخر في معناه، إذ يظهر أنها تصب في معنى القيد والحبس، والحجز وغيرها وكلها ذات سياق واحد وهو الحد من حرية الإنسان وتقييدها.

---

[1] ينظر: ابن فارس (أبو الحسين أحمد): معجم مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط2، 1429هـ/2008م، مج:01، ج:01، ص588، مادة (سَجَنَ).

[2] ابن منظور (جمال الدّين أبو الفضل محمّد بن مكرم): لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، مرا: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1426هـ/2005م، ج07، ص792، مادة (سَجَنَ).

[3] الفيروز آبادي (مجد الدّين محمّد بن يعقوب): القاموس المحيط، تح: أبو الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط2، 1428هـ/2007م، ص1214، مادة (سَجَنَ).

[4] مسلم بن الحجاج (أبو الحسين): صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1412هـ/1991م، ج01، ص2272، كتاب الزهد والرقائق.

**ب- اصطلاحا**

ورد لفظ السّجن في مختلف الكتب الأدبية والقانونية، حيث نجد أنّ مفهوم السّجن من المنظور القانوني يتجلّى في القول الآتي: «إحدى المؤسّسات الاجتماعية المتخصصة والهادفة إلى إعادة التّنشئة والتّأهيل الاجتماعي للأفراد الخارجين عن القانون الجمعي»[1] أي أنّ السّجن بهذا المفهوم ليس إلاّ مؤسسة لإعادة الإصلاح لكل الأفراد الخارجين عن القانون، ما يفرض أن يكون السّجن « حبس شخص أو مجموعة أشخاص في حيّز (بناء خاص) ومنعه من ممارسة حياته العادية، أي كف لحريته لسبب أو أسباب معينة قد تكون اجتماعية ...، أو قد تكون لأسباب سياسية كمعارضة معدل أو نظام ديكتاتوري فاسد، أو غيرها»[2] بمعنى أن السّجن ناتج عن أسباب حتَّمت وضعه، ففي قانون إصلاح السّجون الجزائري، ووفق ما ورد عن المادة 04 نجد أنّ « مؤسسة السّجون هي مركز للاعتقال تابع لإدارة العدل، ويوضع فيه الأشخاص المعتقلون طبقا للقانون».[3]

يعدّ السّجن كمؤسسة فرضتها الأنظمة والدساتير هو «مؤسسة عقابية Réclusion Griminelle (prison)، أي مركز يوضع فيه المحكوم عليهم طبقا للقانون. وهذه المؤسسة إمّا أن تكون ذات بنية مغلقة، أو مفتوحة، وإمّا أن تكون في الورش الخارجية... إذن فهو مؤسسة عقابية قضائية تضطلع بمهمة إعادة تربية النزلاء أي المسجونين»[4] بمعنى أنه مكان فرضه القانون كحل لإعادة تنشئة المسجونين، وذلك بحصر حرّية الإنسان عن ممارسة حياته الطبيعية، ففي بداية الأمر كان السّجن «مكانا لاعتقال الأسرى أو المحكوم عليهم بالموت ثم أصبح مكانا للتخلص من بعض المغضوب عليهم أو الواقفين في طريق ذوي السلطان».[5]

نستنتج من خلال هذه التعاريف أن مصطلح السّجن في مختلف المراجع القانونية له معنى واحد، وهو مؤسسة عقابية، وهدف واحد هو الإصلاح وإعادة التربية.

---

[1] مصطفى شريك: علم السجون: الفن العلمي القادم، مجلة الدراسات القانونية، صادر عن مخبر السيادة والعولمة، جامعة يحي فارس المدية-الجزائر، العدد 2، المجلد 5، جوان2019م/ شوال 1440هـ، ص16.

[2] حمزة حمادة: ثنائية السجن والغربة في ديوان (حصاد السجن) لأحمد سحنون، مجلة العلوم العربية وأدبها، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة حمة لخضر، الوادي- الجزائر، العدد 2، مج 12، 2020/09/15، ص1715.

[3] قانون إصلاح السجون (الجزائري)، ديوان المطبوعات الجامعية، رغاية-الجزائر، د.ط، 1979م، ص 4.

[4] عمتوت عمر، موسوعة المصطلحات القانونية وقواعد الشريعة الإسلامية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة-الجزائر، ط2، 2010م، ص 469، 470.

[5] عباس محمود العقاد: عالم السدود والقيود، منشورات المكتبة العصرية، بيروت-صيدا، د.ط، د.س، ص109.

أمّا إذا رجعنا إلى مفهوم السّجن على الصعيد الفلسفي، فإننا سنقع على رؤية أخرى مختلفة عمّا صدر عنه القانون، إذ إنّ السّجن هنا «عبارة عن طريقة جديدة للتأثير على الجسد، وصادر عن أفق مختلف تماما عن الأفق الذي صدر عنه القانون الجنائي»[1]، إذ يرى ميشال فوكو (Michel Foucault) أنّ السّجون في أصلها لم تفتح للتهذيب، إنّما فتحت للعقاب، فهي لم تستطع تحقيق رسالتها في إصلاح المسجونين بالقدر المنتظر منها، ومع ذلك تبقى مثالا للاعتقال أو الإغلاق الشَّرعي المحْتَمي بالمؤسسات القضائية والقانون الجنائي، فهو « مؤسسات **بانوبتيكية** (panoptique) للتّمفصل الملفوظي والمرئي معا لإنتاج الانضباط حصريا بين جدران هذه المؤسّسات، ولكن بَثِّيًّا وإشعاعيًّا وامتداديًّا إلى جميع سطوح ومفاصل وإرهاصات المجتمع»[2].

ويتّضحُ من هذه الرّؤية، أنّ السّجون في غالب الأحيان تعطي مردودا عكسيّا للهدف الذي وضعت من أجله، وهو إعادة التّربيّة، وتؤدّي إلى نتائج عكسيّة.

من خلال هذه التعاريف السابقة الذكر نتوصل إلى: أنّ السّجن هو مؤسسة فرضها القانون لاعتقال الخارجين عنه، وكبح حرياتهم قصد الإصلاح والتهذيب فهو« يهدف إلى ردع المذنب عن عمله وإنزال العقوبة به وحجزه بغية تأديبه»[3]، ويعني ذلك المكان الذي يحجز فيه الإنسان ، بغرض عقابه لأجل التأديب والتكوين الصحيح لكنه يبقى «موطن آخر... غاية في الضيق محكم السدود والقيود»[4]، إذن إنه وسط يقيد الانسان ويتحكم فيه.

## المطلب الثاني: تاريخيّة السّجن عند العرب

السّجون في نشأتها نابعةٌ من صميم الحياة الاجتماعية، طبيعتها وفلسفتها، وهذا لا يكفي لجعلها متكيّفة مع جميع الأزمنة المعاصرة والتالية لها، فهي نالت من طبائع الأقاليم، وطوابع الأنظمة حظّا وافرا، والسّجن

[1] ميشال فوكو: المراقبة والمعاقبة: ولادة السّجن، تر: علي مقلد، مرا: مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت-لبنان، د.ط، 1990م، ص39، 40.

[2] ميشال فوكو: المراقبة والمعاقبة: ولادة السّجن، ص 42. ومعنى كلمة: بانوبتيكية:"(panoptique): بناء مصنوع بشكل يمكن اشتمال داخله بنظرة واحدة" أي مكان محدد تمكن مراقبته بإطلالة واحدة. سهيل إدريس: المنهل: قاموس فرنسي- عربي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط39، 2008م، ص 866.

[3] سالم المعوش: شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م، ص34 ،35.

[4] مقران فصيح: البناء اللغوي لشعر السجون عند مفدي زكريا وأحمد الصافي النجفي، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، عنابة-الجزائر، ط1، 2008، ص13.

كموضوع لا يخلو منه أدب ولا يخلو من مبدعين يكتبون فيه، إنّه تعبير عن واقع عاشوه، وتجربة أليمة كابدوا ويلاتها، وضريبة فكرية دفعوها ثمنا مقابل الحرّية، في غالب الأحيان .

لقد عرف الأدب العربي على مَرّ عصوره التاريخية أدبَ الأَسر وتجربةِ الاعتقال، إذ ثَمَةَ كثيرٌ من الأعمال خلفها أدباء وشعراء مبدعون في سجونهم، أتت على حين انكسار وقهر بلسان جريح، فكانت روائع تحدّثت عن ضنك حياة السّجون ومرارتها، وقساوة عيشها، ظلما وقهرا و تعذيبا، وسنحاول فيما يلي تعقُّب الآثار الأدبية التي تعتبر إرهاصات وبدايات لأدب الاعتقال عبر عصوره العربية المختلفة، بدءا من العصر الجاهلي وصولا إلى العصر الحديث.

## 1- السّجن في الجاهليّة

المعلوم أن نظام العصر الجاهلي كان قبليّا، حيث لكلّ قبيلة سيّد يحكمها و يسيّر شؤونها، ويضبط قانونها، وكلّ معترض له يعتبّر صعلوك.*

متمّرد خارجا عن نظامها وقانونها، كما تميزت الحياة الجاهلية بشيوع الغزو والغارات اللصوصية، والنّهب والسّلب، كلّ هذه الظروف انبثق عنها الأسر والسّجن في الأخير من طرف المنتصر، فكانت ولادة السّجن من رحم هذه العلاقات والأنظمة التي جسّدت مبدأ البقاء للأقوى.[1]

إنّ كون الشاعر جزءا مهما في تركيبة المجتمع، جعل منه السّفير واللّسان النّاطق لقبيلته بإزاء القبائل الأخرى، هو كذلك معّرض للسّجن والاعتقال كباقي أفراد قبيلته، ولا نجد خيرا ولا أحسن من الشاعر في التعبير عمّا يتعرض له السّجين من معاناة ومأساة، اشتياق وغربة وغيرها.

[1] ينظر: سالم المعوش: شعر السّجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، ص47.

*الصعلوك: ج: صعاليك: وهم أخلاط شتّى من فقراء القبائل الأشداء المتمرّدين ،و من عبيدها السّود، وهجنائها، وأغربتها ، ومن خلعائها ، وشذاذها ، جمع بينهم الإحسان بالفقر الذي جرّدهم من مقومات الحياة ، وجرفهم بعيدا الى هامش المجتمع الذي ظلمهم ، و التمرد على النظام القبلي بما ينطوي عليه من عنصرية متعالية ...، والكفر بأوضاع مجتمعهم الذي اختلت موازينه ، والإيمان بالحرية الفردية التي ألغاها العقد الاجتماعي بما يفرضه من قيود، نجد من بين الصعاليك العرب و ذؤبانهم عروة بن الورد ، تأبط شراء ابن الشنفري.( يوسف خليف: شعراء الصعاليك)

ولعلّ أوّل النّصوص الواردة إلينا من أدب السّجون قصائد **عديّ بن زيد العبادي**[*] الذي نظم الكثير فيما يخص شكواه المرفوعة لعمّه**النعمان بن المنذر**[**] ، ذلك لتبرئة نفسه من تهم الوشاة المرفوعة ضده، مؤكدا إخلاصه ووفاءه للملك يقول :

أَلَا مَنْ مَبلغَ النعمانُ عنّي وقد تهدي النصيحةُ بالمغيبِ

أَحظي كان سلسلةً وقيدا وغلا والبيانُ لدى الطّبيبِ

أتاك بأنّني قد طال حَبسي ولم تسأم بمسجونِ حريبِ

وبيتي مقفرٌ إلاّ نـــــــساءً أرامل قد هُلكن من النّحيبِ

يبادرن الدُموع على عدّي كشنٍ خانه خرز الربيبِ

فإن أخطأتَ أو أهملتَ أمرًا فقد يهم المصافي بالحبيبِ

وإن أظلمَ فقد عاقبتـــــموني وإن أظلم فذلكَ من نصيبي

و إن أهلكَ تجد فقدِي وتخذلُ إذْ التقت العوالِي في الحروب

فهل لك أن تُدارِك ما لدينا ولا تَغلبْ على الرأي المصيبِ

فإنّي قد وكّلت اليوم أمري إلى ربِّ قريب مجاب[1]

وعلى رؤى هذه الأبيات الشعرية، يتضح لنا كم من الألم والحزن طغى على الشاعر، ومع ذلك يسلم شتات أمره إلى من لا تضيع الودائع عنده لله الواحد الأحد.

---

[1] واضح الصّمد: السجون وآثارها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 1995م، ص 109،110.

[*] عدي بن زيد العبادي : شاعر نصراني جاهلي، من بني تميم، موطنه الحيرة، طرحه أبوه في الكتاب، فتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم النّاس بهما، وأفصحهم بالعربية ، وقال الشعر وتعلم الرمي بالنشاب ، ثم اتصل بالنعمان بن المنذر ملك الحيرة ونادمه طويلا ، ثم وشى به بعض أعدائه عند النعمان فقيض عليه وأودعه سجن الصنين (بلد بالكوفة ) وبدأ يشد عليه في السّجن وعدّي يتوسل إليه بأرق الشعر إلى أن هلك في محبسه .

[**] النعمان بن المنذر : (00نحو 10ق.م=00نحو 201 م) ابن المنذر بن امرىء القيس اللّخمي، أبو قابوس من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية، كان داهية مقداما، وهو ممدوح النابغة الذبياني وحسّان بن ثابت ، وحاتم الطائي، وصاحب ايفاد العرب على كسرى، وباني مدينة النعمانية ، صاحب يومي البؤس والنعيم، وقاتل عبيد بن الأبرص ، وعدي بن زيد، نفي من طرف كسرى إلى خانقين و بها سجن الى أن توفى.

ويقول في قصيدة أخرى بعد أن ليل البعاد وهجمت عليه صنوف الهموم منتظرًا الصّبح القريب، فليل السّجين طويل، ويلحُّ عليه فيه الأسى والتململ والسهاد في زمن الانتظار البغيض، والأرق القاتل، والغربة النّفسية الموحشة ، التي أخذت فيه العيون نعاسها.[1] يقول:

طالَ ذَا الليلُ علينا واعتكرْ وكأنّي ناذرُ الصبحِ سمر

إذ أَتاني نبأ من مُنعـــــــمٍ لم أَخُنه والذي أَعطى الشِبر

من نَجيٍّ الهم عندي ثـــــاويا فوق ما أعلنُ منه وأُسِرُّ[2]

وهذا عنترة بن شداد من فحول شعراء المعلقات وقع أسيرا في حرب كانت بين العرب والعجم ، وكانت عبلة من جملة السبايا، فتذكر أيامه معها وهو في السلاسل والقيود ، فعظم عليه الأمر وخنقته العبرة فقال:

فخر الرجال سلاسلٌ وقيودُ وكذا النساء بخانقٍ وعقودُ

وإذا غبار الخيل مدَّ روافهُ سكري به لا ما جنى العنقودُ

يا دهر لا تبقِ عليّ فقد دنَا ما كنت أطلبُ منك ذا وأريدُ

فالقَتل لي من بعد عبلةَ راحةَ والعيش بعد فراقها منكودُ [3]

كما أنشد في المرة الأخيرة عند وقوعه أسيرا في أرض المناذر قائلا:

تُرىَ عَلِمَت عُبَيْلَة ما ألاقي من الأهوال في أرض العراقِ

طغاني بالربا و المكر عمّي وجار عليّ في طلب الصداقِ

فخضت بمهجتي بحر المنايا وسرت إلى العراق بلا رفاقِ

وسقت النوق والرعيان وحدي وعدت أحرّ من نار اشتياقِي [4]

[1] ينظر: حسن سليم نعيسة: شعراء وراء القضبان (من الأدب السياسي ) ، دار الحقائق للطباعة و النشر و التوزيع ، دمشق ،ط1، 1986م، ص20.

[2] حسن سليم نعيسة: شعراء وراء القضبان (من الأدب السياسي )، ص 20،21.

[3] عبد العزيز الحلفي: أدباء السجون ،دار الكاتب العربي، دمشق– سوريا، (طبعة مزيدة ومنقحة )، (د.س)، ص18.

[4] المرجع نفسه، ص19.

ومن هنا لابدّ من بيان أن السّجون في العصر الجاهلي تفاوتت في أشكالها وأوضاعها وإدارتها حسب مكانها، إذ كان السّجن مبنيا على الحبس في البيوت وربط المحبوس بالسلاسل فلا يستطيع مغادرة مكانه. ولقد اشتهر في شبه الجزيرة سجنان واحد في مكّة سمّي «**النّفيع** حبس فيه الحارث بن عبيد بن مخزوم سفهاء قومه، والأخر بالمدينة، وهو سجن **ابن سباع** وكان دارا لعبد الله بن سباع بن عبد العزّى»[1].

أمّا في اليمن فقد كانت السّجون في قلاع الملوك، وفي المباني الحصينة المنيعة حتى لا يَهْرُب منها السّجناء، في حين نجد أن قبائل البادية كان لها من غير الممكن اتخاذ السّجن لديها وذلك راجع لطبيعة حياتهم المعتمدة على الترحال، لذا لجأت إلى عقوبة الطرد (النفي)، بحيث لا يسمح للمنفي بالمجيء إلى منازل قبيلته، أو إهدار دمه بحيث تصبح قبيلته غير ملتزمة به، وإذا اضطرت القبيلة إلى الحبس فإنّه يحبس في خيمة مع حارس أو تحفر له حفرة في الأرض على عمق بحيث يكون مربوطا بحبال فلا يستطيع الهرب.[2]

## 2- السّجن في صدر الإسلام والعصر الأموي

إذا كانت سجون البادية متنقلة مثلهم بطبيعة الحال، والسّجن تكبيل بالأغلال واعتقال السّجين[3]، فإنّ بمجيء هادي الأمة محمد صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن الكريم تغيرت المعطيات، فأصبح قتل النّفس بغير حق حرامًا، وهكذا كان السّجن أو الأسر كحل لتعطيل الشخص المذنب من الأمور الاعتيادية وذلك بالسّجن في المسجد [4]، ومفهوم السّجن هنا كان خاضعا لكل ما هو مستقى من تعاليم الدين الإسلامي من رحمة وإنسانية، واستمر ذلك في عهد عمر رضي الله عنه الذي رأى « ضرورة إعداد مكان لحبس المجرمين الذين يخرقون أوامر الإسلام »[5].

فالسّجن هنا «عقوبة من العقوبات التي شرعها الإسلام إمّا لردع الجاني عن الجريمة أو تهذيبا له أو لردّ حقوق النّاس »[6].

---

[1] شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت :معجم البلدان، دار صادر ، بيروت- لبنان، د ط، مج: 05، 1397هـ/1977م،ص297.

[2] أيمن سليمان خالد التميمي: السجون في العصر العباسي ( 132-334هـ/750-966م)، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، 1997م، ص 297.

[3] ينظر: أحمد حلمي: السجون المصرية في عهد الاحتلال الإنجليزي، قناة البصاص الوثائقية للتاريخ، مطبعة النجاح، مصر،ط1، 1911، ص12.

[4] واضح الصمد: السجون و آثارها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، ص39.

[5] عبد الفتاح خضر: تطور مفهوم السجن ووظيفته، جامعة نايف العربية، للعلوم الأمنية، الرياض، د.ط، 1984م، ص27.

[6] علي بن نايف الشحود: خلاصة في أحكام السجن في الفقه الإسلامي، ط2، 1433هـ/2012م. ص1.

وثبت عن الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه – أنه سجن الشاعر الخطيئة تأديبا له على هجائه النّاس، فقد كان ذاشر وسفه يجيد المدح والهجاء ، وممّا قاله في سجنه مستعطفا الخليفة ومعتذرا إليه عمّا بدر منه من تصرّف:

ماذَا تقُولُ لأفراخٍ بِذِي مَرَخٍ  زُغْبُ الحواصلِ لا ماءُ ولا شجرُ

أَهلي فداؤُك كمْ بينِي وبينَهم  من عَرضِ دَوايةٍ يَعمِي به الخيرُ

ألقَيتَ كاسبَهم في قعرٍ مظلمةٍ  فاغفرْ عليك سلام الله يا عمرُ![1]

وهكذا رق قلب عمر بن الخطاب، وأمر بإطلاق سراحه بعد الانتهاء من قراءة القصيدة.

وكذلك سجن عثمان بن عفان –رضي الله عنه– ضابئ بن الحارث حتى قال هذا الأخير وهو في سجنه :

ومن يكُ أمسى في المدينة رحلهُ  فإنّي وقيَّار بها لغريبُ

وما عجلات الطّير تدني من الفتىَ  نجاحا ولا عن ريثهنَّ يخيبُ

وربّ أمورٍ لا تضيرك ضَـــــيرُه  وللقلب مُخشاتهنَّ وجيبُ[2]

لقد بقي نظام السّجون مستمرا طوال العصر الأموي [3]، وذلك باعتباره من أخطر العصور في التاريخ العربي، نتيجة الصراع القائم على السلطة، حيث أصبح السّجن والتعذيب أمرا مألوف تمارسه الفئة الحاكمة على خصومها السياسيين[4]، فبسبب من عدم استقرار الأوضاع الأمنية آنذاك ظهرت أهمية السّجون وأصبحت الحاجة إليها أمرا مهمّا وملحّا لحبس المعارضين، فقد كانت الصراعات السياسية والقبلية والمذهبية من أهم أسباب هذه الكثرة الكاثرة من السّجون والسّجناء، نظرا لكثرة خلفاء بني أمية، ويقال إنّ معاوية أوّل من اتخذ السّجون بمعناها المعروف، وخصص الحرس لحراسة السّجناء، و معاوية هو فاتحة الحكم الأموي كما هو معلوم لدينا.

[1] عمر بوشموخة: الابداع في الفن الأدبي، منشورات أبيك، متيجة، د.ط، 2007م، ص141.

[2] عبد العزيز الحلفي: أدباء السجون، ص 43 ،44.

[3] ينظر: إبراهيم الحوت: تاريخ السجون وأوضاع السجين في الإسلام بين الرحمة العامة والحقوق الخاصة، المقاصد، دورية ثقافية ، د.ب، د.ط، د.س، ص239.

[4] واضح الصمد: السجون وآثارها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، ص36.

وممّا ورد إلينا من نماذج شعرية في أدب السّجون لهذا العصر ما أنشده عبد الله بن هاشم بن عتبة عند إلقاء القبض عليه من طرف زياد في العراق بأمر من معاوية يقول:

فإن تَعْفُ عنّي تَّعْفُ عن ذي قرَابة وإنْ تَرَ قَتْلِي تَسْتَحِلُ مَحَارِمِي[1]

وهكذا عفا عنه معاوية وأطلق سراحه.

كما نجد أيضا ما قاله **الفرزدق*** عند سجنه بالبصرة من طرف خالد بن عبد الله القسري يقول في قصيدته مادحا إيّاه ومستعطفا له:

وأني لأَرجو خالدا أن يفُكـــنِي ويطلقَ عنّي مثقلات الحدائدِ

هو القائد الميمون والكاهل الذي يثوبُ إليه الناسُ من كل وافدٍ

به تكشف الظلماءُ من نور وجههِ بضوء شهابِ ضوؤه غير خامدِ[2]

وإلى جانب هؤلاء الشعراء نجد أن هناك شعراء آخرون كان لهم من حياة السّجن نصيب فراحوا يدوّنون قصائد طلبا للاستعطاف والعفو، و ذكر اللآلام إذ نجد من بينهم **العرجي**** في سجن مكة، عند هجائه لمحمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي:

وكم من كاعبٍ حوراءَ بـكرُ أَلوفَ السّترِ واضحةُ التراقِي

بكت جزعًا وقد سمرتْ كبولُ وجامعةٌ يشدُّ بها خناقِي

على دهماءٍ مشرقةٍ ســـــموقُ ثناها القمحُ مزلقةَ التراقِي[3]

---

[1] واضح الصمد: السجون و أثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، ص41.

[2] عبد العزيز الحلفي: أدباء السجون، ص125.

*الفرزدق: هو همام بن غالب التميمي كنيته أبو فراس، ولقبه الفرزدق، موطنه البصرة ولد ونشأ بها وأقام، نبغ في رواية الشعر ، إذ يعدّ من فحول الشعراء في الدولة الأموية و من مشاهيرهم ، انفرد شعره بالفخامة وكثرة الغريب ، تظهر خصائص شعره في أهاجيه المتعددة ومناقضاته لجرير، وهذا ما جرّه لمتاعب جمة وغضب الولاة ، فطارده زياد بن أبيه ونفاه عمر بن العزيز ، وسجنه خالد بن عبد الله القسري عندما سب نهر المبارك الذي أجراه (عبد العزيز الحلفي: أدباء السجون).

**العرجي: هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان لقبه العرجي من شعراء قريش، وممن شهر بالغزل، كان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة، مولعا باللهو والطرب، قليل المحاشاة ، دخل السجن عندما ولي محمد بن هشام مكّة وكتب إليه هشام أن يحج بالنّاس فهجاه العرجي، فأخذه محمد بن هشام وقيده وأقسم ألاّ يخرج من السجن مادام له سلطان ، وهكذا مكث بالسجن حتى توفى.( عبد العزيز الحلفي: أدباء السجون)

[3] عبد العزيز الحلفي: أدباء السجون، ص123.

### 3- السّجن في العصرين العباسي والأندلسي

إنّ ما شهده العصر العباسي من تطور في حياة الاجتماعية والثقافية وحتى الفكرية والسياسية، كان انعكاسا لما أفرزته الحضارة بانفتاحها على الحضارات الأخرى، واختلاطها بمختلف الأجناس كالهنود والفرس والأتراك.[1]

لقد كان للحياة السياسية في هذا العصر نصيب من التطور، إذ جعلها تحت متغيرات شكلت لها في الوقت ذاته معارضون وأعداء لها، وهذا ما جعل الأخير تحت سلطة السّجن، بحيث سجن كلّ من الأمير والجندي، وحتى الشعراء والأدباء أخضعوا له، وذلك بسبب خروجهم عن القوانين والآداب العامة، يقول أبو العتاهية متحدثا عن ذلك كان بمدينة الرصافي ببغداد:« لما امتنعت عن قول الشعر وتركته أمر المهدي بحبسي في سجن الجرائم، فأخرجت من بين يديه إلى الحبس، فلما أدخلته دهشت وذهل عقلي ورأيت منظرا هالني »[2]

ونتيجة لتلك المتغيّرات التي حدثت في هذا العصر، اتّسع نطاق السّجون، وذلك من أجل الحفاظ على هدوء وأمن واستقرار الدولة من الأشخاص التي دعا صيتها في مجال السّجن، الأسر والنفي، الشاعر المعروف برومياته أبو فراس الحمداني، الذي ذاق ألم الأسر والشوق والغربة عندما حبسته الروم هو وحاشيته، يقول مفتخرا عندما بلغه أن الروم قالت: ما أسرنَا أحدًا لم تسلُب سلاحه غير أبي فراس:

أراك عصيّ الدّمع، شيمتُك الصّبر  أمّا للهوى نهيٌ عليكَ ولا أمرُ

بلى أنا مشتاقٌ، وعندي لـــوعةٌ  ولكن مثلي لا يُذاعُ له سرُّ !

إذا اللّيلُ، أضواني بسطتُ يد الهوى  وأذْلَلْتُ دمعًا من خلائقه الكِبَرُ[3]

كما أنشد حين غَلبت عليه الحسرة على أمّه، وهو في الحبس، فماتت فقال يرثيها:

أيا أُمّ الأسير، سقـــــاكَ غيثٌ  بكره منكِ، ما لقيَ الأسيرُ !

أيا أُمّ الأسير، سقـــــاكَ غيثٌ  تحّير، لا يقيم ولا يسير

[1] ينظر : إيمان مصاروة: أدب السجون في فلسطين (دراسة توثيقية )، شبكة محررون للإصدار الالكتروني، رقم 136، 2020م، ص22.

[2] أحمد مختارة البرزة: الأسر و السجن في شعر العرب( تاريخ ودراسة )، مؤسسة علوم القرآن، دمشق-بيروت،ط1405،1هـ/1985م، ص120.

[3] أبي فراس الحمداني: ديوان أبي فراس الحمداني، عني بجمعه و نشره و تعليق حواشيه ووضع فهارسه: سامي الدّهّان، رواية: أبي عبد الله الحسين بن خالويه ، مكتبة الدكتور مروان العطية، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، د.ط ، 1363هـ/1944م، ج:1، ص209.

أيا أُمّ الأسير، سقاك غيث إلى مَنْ بالفِدا يأتي البشير؟

...

لِيَبْكِكِ كُلُّ يَوْم صُمتِ فِيه مصابرة، وقد حمي الهجيرُ !

لِيَبْكِكِ كُلُّ لَيْل قُمْتِ فيهِ إلى أنْ يَبْتَدِي الفَجرُ المنِيرُ !

وهذا أبو الطيب المتنبي ينطق مستخفا بالسّجن،متحديا للعسف متعاليا، جاعلا منه دار العظماء في دروب النضال يقول :

كن أيّها السّجن كيق شئت فقد وطّنتُ للموت نفس معترف

لو كان سكناي فيك منقـــصةٌ لم يَكُن الدُرُّ سَاكنَ الصُّدَفِ.[1]

عرفت فترة الحكم العربي الإسلامي لأرض الأندلس، ظروفا سياسية صعبة نتيجة للمنازعات والمنافسات على الولاية، ما أدّى بها للتأثير على شريحة المجتمع لتشمل قضاياه، حيث أنّها باتت علاقة حتمية مع إنسان هذا العصر، فالمحن والنكبات جعلت من شعراءه تحت وطأة الأسر وقبضة الأعداء [2].

لقد اتصف العصر الأندلسي بصفتين متناقضتين هما التعصب والاستبداد من ناحية، والتساهل والحرية من ناحية أخرى، وهذا كان في سبيل دعم القوة الإسلامية ضد أعدائها، وفي الوقت ذاته شرا على الحرية الفكرية عند المسلمين أنفسهم، وذلك لحرص الفقهاء على سيادتهم، والتضييق على رجال الفكر والفلاسفة في كثير من الأوقات .[3]

إنّ دخول الكثير من شعراء الأندلس السّجن لم يكن من سبب واحد فقط، إنما تعدى ذلك ليشمل أسبابا سياسية وأخرى دينية، حيث أنّ الأسباب السياسية كانت متمثلة في عدم رضا بعض الشعراء عن ولاة الأمر وساساتهم، في حين أن الأسباب الدينية فقد تمثلت فيها هو معروف بالزندقة التي كانت لها علاقة بالدين

[1] حسين سليم نعيسة: شعراء وراء القضبان (من الأدب السياسي) ، ص154.

[2] ينظر: بن نصر عواطف، يعقوبي قدوية : أثر السّجن والأسر في شعر رثاء الذات في العصر الأندلسي-نماذج مختارة- ، مجلة المورث، جامعة تيسمسيلت -الجزائر، مج: 09، العدد:02، 2021م، ص337.

[3] ينظر: جودت الركابي: في الأدب الأندلسي، دار المعارف، مصر، ط2، 1944م، ص49.

مثلما لها علاقة بالسياسة[1]،كل هذا ساهم في نيل العديد من الشعراء وحتى القضاة والوزراء في تجربة السّجن التي أثارت جوانب نفسية، عاطفية و فكرية في نفوسهم، فوصفوا السّجن والحياة فيه، وسجلّوا مواقفهم من الحكام، وما تبادلوه من أخبار مع ذويهم وأقربائهم.

نجد في مقدمة هؤلاء الشعراء ابن زيدون الذي لقب ببختري الغرب، الذي نالت السّجون قسما من حياته، فكتب عنها مستعطفا الحكام تارة وشاكيا متشوقا حزنا تارة أخرى، يقول في قصيدة له يشكو من الدهر ويعاتب أبا الحزم بن جهور :

لعمر اللّيالي!إن يَكن طَال نَزعها    قد قرطست بالنَّبْل في موضع النُّبْلِ

تحلَّت بآدابي، وإنّ مآربي    لسانحة في عرض أمنية عُطلِ

أخصُ لفهمِي بالقِلى، وكأنَّما    يَبيتُ، لذَى الفهم الزمانُ على ذَحلِ[2]

من خلال الأبيات يتبين أن الشاعر مهما اشتدت عليه الأيام بالمصائب فإنها أصابت موضع النبل فيه، وأن الزمان كأنّه ثائر على أصحاب الفهم، لذا خصّه الدهر بالجفاء دون غيره .

يتحدث المعتمد بن عباد في قصيدته عندما زارته بناته بسجن أغمات فغلبته الحسرة على حال بناته، وهن يصارعن الذل يقول :

فيمَا مضى كنتُ بالأعيادِ مسرورًا    فساءكَ العبدُ في أغمات مأسورا

ترى بناتكَ في الأطمار جائعةً    يغزلن للنّاس ما يملكْنَ قطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعةً    أبصارهنّ حسيرات مكاسيرا

يطأن في الطين والأقدام حافيةٌ    كأنّما لم تطأ مسكًا وكافورَا

لا خدَّ إلا تَشَّكى الجذبُ ظاهرهُ    وليسَ إلاّ مع الأنفاسِ ممطورا [3]

[1] ينظر: محمد سعيد محمد: دراسات في الأدب الأندلسي، منشورات جامعة سبها، ليبيا، ط 1، 2001م، ص 196 ،197.
[2] طيبة سيفي: حبسيات ابن زيدون بين الابداع والتقليد، إضاءات نقدية (فصلية محكمة )، السنة :08، ع:32، 2018م، ص89.
[3] جودت الركابي: في الأدب الأندلسي، ص93.

ووفق تلك الرؤية نخلص إلى أن السّجن كان له تاريخ حافل عند العرب، إذ أنه لم يتأسس من فراغ، فإذا بدأنا بالعصر الجاهلي سنرى أن السّجن كان معروفا لديهم بمعنى الأسير، والتكبيل بالأغلال، حيث أنّه انبثق من صميم الحياة الاجتماعية آنذاك نظرا لما استدعته الظروف الحياتية المتمثلة في التمرد، العصبيةوالقبلية، وبمجيء الإسلام تغيرت السياقات، كما تغير النظام والذي استمر إلى العصر الأموي، فوضعت ضوابط وشرائع نظمت حياة الناس فلا يسمح لأي كان بالتعدي على الآخر، وفرضت قوانين صارمة من قبل الحكام، هذا ما زاد من انتشار السّجون نظرا لتشكل المعارضة السياسية، وبمجرد الانتقال إلى العصر العباسي وما اتسم به من خصوصيات عديدة سواء في الجانب السياسي، الاجتماعي، الاقتصادي،الثقافي والفكري، أدى إلى حدوث ترف ومجون كان لهما الأثر على الحكام والمجتمعات في الآن نفسه، ما جعل السّجن يتحول الى مؤسسة عقابية لها قانون، وفارض لهذه القوانين، وجعل لها فروعا بحسب الجرائم المرتكبة، يمكن أن يؤكد ذلك بوجود سجن الجرائم بمدينة الرصافي ببغداد، وهكذا تطور السّجن بتطور الحياة إلى ما أصبح عليه الآن مؤسسة لها نظام وقانون تخضع له.

## المبحث الثاني: أدب السّجون

### المطلب الأول: مفهومه وعوامل ظهوره

#### 1- مفهوم أدب السّجون

إن موضوع أدب السّجون، هو موضوع قديم لكن الدراسة فيه مستحدثة و- شحيحة نوعا ما-، ذلك لما فيه من خصوصية يلفها الحذر في موضوعاته، كما لفت كتابه بحكم أنه أدب مناف –نوعا ما-للأنظمة ويشكّل طابو عند السّلطة باعتباره انعكاسا صريحا لصراع الإنسان مع واقعه المفروض عليه رغما عن أنفه، وتمرده على النظام، بعدم مراعاة الدارسين خصوصية ذلك الأدب (أدب السّجن).

أدب السّجون هو « أدب يصوّر وحشيّة الجلّاد، وظلمة السّجن، وأنين المحبوسين وقد ازدهر هذا النوع من الكتابة في الوطن العربي، بسبب الاستعمار أولا، ... ومن بعده الأنظمة العربية الظالمة، التي زجت بآلاف المثقفين المعارضين داخل غياهب سجونها، مسلطة عليهم شتى ألوان العذاب ».[1]

لقد بلورت المؤلفات الأدبية الاعتقالية والسياسية أحد الأوجه التي تمخض عنها الصراع السياسي في الوطن العربي، في حين أنها أيقظت الشعوب العربية من غفلتها، وكشفت عن غطاء فساد الأنظمة، إذ جعلتها تؤمن بالمقاومة، من خلال الخوض في غمرات القمع السياسي والطغيان. ما جعل هذا النوع الأدبي يحظى بحيز كبير على مستوى الأدب والنقد رغم اختلاف تسمياته، لكن الموضوع واحد.

هناك من النقاد من اعتبر أدب السّجون « امتداد لأدب المقاومة لأنه يعمل على إدانة وفضح مختلف الممارسات السلطوية المتحكمة في السلوك السياسي للأنظمة العربية، ومن المشاكل التي تعاني منها الأمة العربية نجد غياب الديمقراطية واحتكار السلطة».[2]

على ضوء هذا يتضح أن أدب السّجون ما هو إلا حركة مقاومة ومناهضة اتخذتها الدول العربية كدرع لمعارضة السلطة، ورفض القمع السياسي، وكل ما يعيق حرية الإنسان، على سبيل تحقيق الوحدة الديمقراطية، والأمن الوطني والدولي.

---

[1] حمزة حمادة: ثنائية السجن والغربة في ديوان (حصاد السجن) لأحمد سحنون، ص1713.

[2] ينظر: لخضر منير: أدب السجون ومقاومة الاستبداد السياسي بالمغرب (أوراق كتبت في وعن السجن)، مجلة الحوار المتمدن الإلكترونية، ع: 1903، 2007/05/02م، (تاريخ التصفح: 7مارس2022م)، الساعة: 19.30 سا.

فأدب السّجون من أنواع الأدب التي عنيت بتصوير الحياة داخل القضبان وما وراء الأسوار الحديدية والمعتقلات حيث إنه «الأدب الإنساني النضالي الذي ولد من عتمة وظلام الأقبية والزنازين وخلف القضبان الحديدية وخرج من رحم الوجع اليومي والمعاناة النفسية والقهر الذاتي، والمعبر عن مرارة التعذيب وآلام التنكيل وهموم الأسير وتوقه لنور الحرية وخيوط الشمس، ففي جحيم السّجن ودياجير الظلام الدامس يمتشق السّجين قلمه ليحاكي واقعه وحياته الجديدة ويغمسه في الوجدان ليصور تجربة الأسر والمعاناة اليومية، ويسطّر ملامح الصمود والتحدي والبطولة ومعارك الأمعاء الخالية، في نصوص لا أصدق ولا أعذب ولا أجمل منها »[1]، أي أنه أدب يتحدث عن اللاإنسانية التي يعاني منها السّجين ،إلى جانب نضاله تحت مرارة الألم والتعذيب، فهو ذلك الأدب الصادق التعبير عما يتعرض له السّجناء، وما مروا به من أزمات الفعل السلطوي، والأسباب التي أودت بهم إلى ذلك المكان الذي تفوح منه رائحة الجثث وهي حية.

يرى رأفت حمدونة أن أدب السّجون هو « أدب مقاومة وهو جزء من الأدب العربي المعاصر، والأدب الوطني والقومي والأدب العربي والعالمي الحديث، لما يحمل من مميزات وخصائص، ... وهو كل ما يكتبه الأسرى داخل الاعتقال وليس خارجه بشرط أن يكون من أجناس الأدب».[2]

فمن ناحية أدب المقاومة، أدب السّجون مثله مثل المقاومة، وما ميزه هو ظروفه القاسّية البالغة الشراسة، التي تحدّاها وعاشها السّجين، وكانت إنتاجه الفني الذي خبر فيه كل ما مر به يوما وراء يوم.[3]

أما إيمان مصاروة فتقول: «هو رسالة الكاتب من خلال لغته الخاصة والتي تعكس تجربته الشخصية داخل المعتقلات يخرجها في نتاج وقالب أدبي على اختلاف أشكاله، غالبا ما يسعى لتأكيد رسالته الإنسانية العامة يرفض الظلم وإعلاء قيم الحرية والاستقلال».[4]

إذن أنه ذلك الصنف الأدبي ،الذي قدّم صورة الألم والوجع والاضطهاد في قالب لا يخلو أبدا من فكرة اليقين بأنّ الحرية هي الصوت الذي تصنعه الجوارح، في كل شخص ذاق سوط الجلاد.

ففي ظل تلك التعاريف يتضح أن دارسي هذا اللون الأدبي، قد أخضعوه لشرط من بينها شرط المكان فمن التّسمية يمكن القول بأنّ: أدب السّجن هو ما كتب من فنون أدبية في السّجن نفسه ،وإلا لا يصلح أن يكون

[1] زكريا بوغرارة: الأكف الممزقة، تق: الشيخ ياسر السري، مؤسسة وإسلاماه للإعلام، الطبعة الأولى الإلكترونية، ص5 ،6.

[2] رأفت حمدونة: أدب السجون (الخصائص والمميزات)، https:// eljadide lyawmi.dz، 2022/03/07م، 07h :30min.

[3] ينظر: غسان كنفاني: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948م-1968م، دار منشورات الرمال، قبرص، طبعة سنة 2015، ص11.

[4] إيمان مصاروة: أدب السجون في فلسطين (دراسة توثيقية)، ص04.

على هذا المسمّى. والسّجن في الحقيقة أمر أساسي والكتابة عنه « ذاكرة رسمية تؤرخ للعلاقة بين السلطة ومعارضيها، تضبط الذاكرة الجماعية بما تتيحه من المعلومات والمعارف والتجربة المباشرة إنها ذاكرة منشقّة، وتشكل هذه الأدبيات فرصة مؤجّلة للدّفاع عن النفس، الدّفاع الذي لم يكن ممكنا لحظة الاعتقال ».[1] إضافة إلى وجود المكان كشرط أساسي في هذا الإبداع الأدبي، هناك شرط آخر وهو تجسيده في إحدى الأجناس الأدبية كأن يكون قصة، رواية، شعر، رسالة، مسرحية ...، ذلك لوجود العديد من المدونات التي كان مضمونها الإنسان وحياته في متاهات السّجون، وما يعانيه من فقد لآدميته داخل مقامع الأسر، هي كتابات لم تكن أدبية في تقاسيمها هذا ما جعلها تطوى ولا تروى، وسكت عنها في الغالب الأعم رغم أنها شهادة حية، وتاريخ لمرحلة معينة.

ومع ذلك لا يمكن اعتبار المكان شرطا محتّما في هذا الأدب، إذ نجد الكثير من الدارسين والكتاب أسقطوه وتنازلوا عنه، باعتبار أن هذا الصنف موجود لدى بعض الكتاب رغم أنهم لم يعيشوا التجربة بل كانت محطة عايشوها مع من تُكنّ لهم معرفة بهم، هكذا أقرّت فاطمة المسلماني في مقال لها بعنوان أدب السّجون قائلة: « هو نوع من الأدب، الذي استطاع أن يكتبه أولئك الذين عانوا السّجن والتعذيب خلال فترة سجنهم وتعذيبهم أو بعدها، وهو الذي كتبه الذين رصدوا تجارب سجناء عرفوهم أو سمعوا عنهم».[2]

كما عرّفه الآخرون على أنه حصاد السّجن ،وما يكتبه الأسرى في المعتقلات وما دوّن واهتم بالسّجن وقضاياه، وهي على شقين: شق ينحصر بالسّجناء ذاتهم وما أرخوه من داخل غرفهم وزنازينهم، وما وثقوه لحظة وجودهم في السّجن وحتى بعد إطلاق سراحهم، والتجربة قائمة، وشق آخر متعلق بما عبر عنه الأدباء تحت سماء الحرية.[3] عدا أولئك نجد أن هناك من لامس السّجن بمشاعره، وصوت جوارحه فراح يجوب بخياله ويعبر عن تلك الحياة وتفاصيلها بأسلوبه وذوقه الفني بحسب صياغته التي تفرد بها عن غيره.

لربما أشمل تعريف يمكننا أن نتوصل إليه من خلال هذه المفاهيم السابقة أن أدب السّجون هو: ذلك الجنس الأدبي النضالي والكفاحي الذي خاض في غمرات حياة المساجين، وما ينطوي عليها من ألم وحزن وقهر واضطهاد ومصادرة للحرية الإنسانية، وما يعيشه السّجين في الأقبية والزنازين من ظلم تحت ظلمة المكان بعينهوتحد وتوق للحرية لا مجال لأي فكر أن يتملصها مهما كانت درجة العذاب في ذلك المكان، إنها تجربة

[1] رضوى عاشور: لكل المقهورين أجنحة (الأستاذة تتكلم)، دار الشروق، القاهرة–مصر، ط1، 2019م، ص93.

[2] فاطمة مسلماني: أدب السجون، موقع فيلادلفيا المعرفة، 28ديسمبر2018م، 2022/03/07م، 07h :35min.

[3] ينظر: المرجع نفسه.

سجن شخصية أو حتى محكية له المهم أن الأديب جعل الكتابة في هذا المجال والمكان مقاومة معبرة عن كل وضع سياسي أو اجتماعي مرفوض، وعلى الإنسان أن يعي هذا الظلم والطغيان الذي يعيش فيه.

## 2- عوامل ظهوره

إذا كان السّجن هو ذلك المكان المغلق، المحكم الضيق، والمظلم لدى الكثير من الأشخاص، فإنه لم يقع كهاجس عند آخرين، بل جاء كمصدر إلهام، وكتجربة جسدت كل أنواع التعذيب، والقهر، والمأساة، والمعاناة والتقييد المنصرم والأقسى والصعب، لكن مع ذلك يكون الأصعب هو تخليدها وملازمتها للذاكرة الفردية وجعلها حية في الضمير الجمعي، كشاهدة عيان على محنة أليمة معاشة داخل القضبان الحديدية، وكصورة عن واقع همجي متأزم يكشف عن العبثية داخله، والصراع الناجم بين الحاكم والمحكوم في فترة زمنية معينة.

لقد صارت تلك القوالب الفنية، فارضة نفسها على الساحة الأدبية لما لقته من استحسان السمع والتقبل عند كل دارس، ناقد، مفكر، وأديب، في حين نجد أن هناك عدة أسباب، كان لها الفعل الحقيقي لرواج هذا اللون الأدبي، إذ يمكننا حصرها في عامل التجربة، عامل التأريخ، عامل المعارضة والرفض.

### أ: عامل التجربة

لقد كان أدب السجون افرازا لتجارب حياتية وعليه، « الأعمال الأدبية على نحو الخصوص والأعمال الفنية بصفة عامة، تأتي نتاج تجارب وخبرات والمشاعر المسيطرة على المبدع، فهو يخرج تلك الطاقات الهائلة المختزنة بداخله يسطرها على الأوراق وكان ذلك أول أسباب ظهور هذا النوع من الأدب، والذي يعرف أو يصنف تحت مسمى أدب السّجون» ،[1]فما دام أن هناك علاقة بين الأدب والنفس، فإن الانفعال النفسي خَلْقٌ للفن الأدبي ونتاج له هذا إذا نظرنا إلى أن «العمل الأدبي هو استجابة معينة لمؤثرات خاصة، وهو بهذا الوصف عمل صادر عن مجموعة القوى النفسية، ونشاط ممثل للحياة النفسية ...»[2].

إذن فالعامل النفسي «ما يتعلق بما يحسه المساجين من مشاعر متباينة اتجاه السّجن وحالتهم فيه، بين الشعور بالمرارة والبلاء والمشقة، واستبدال العز بالذل، أو انتظار الموت فيه »،[3] حيث يمكن اعتبار الحالة النفسية

[1] فاطمة مسلماني: أدب السجون.

[2] سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، ط8، 2003م، ص207.

[3] طارق زيناي: ظاهرة شعر السجون وتجلياتها في الأدب العربي القديم، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي-الجزائر، رقم: 04، 2020م، ص255.

الدافع الحقيقي في الكشف عن الفساد، وعيوب السلطة، من خلال الوصف الصادق لما يعانيه السّجين هذا لأن « المفكرون الحقيقيون أقرب ما يكونون إلى الصدق مع أنفسهم حين تدفعهم المشاعر الميثافيزيقية الجياشة والمبادئ السامية، أي مبادئ العدل والحق، إلى فضح الفساد، الدفاع عن الضعفاء، وتحدي السلطة المعيبة »[1] أي أن المفكر والأديب الحقيقي لابد عليه من أن يكون ذا مبادئ تخدم الضعفاء، وتكشف الفساد وتتحدى السلطة، فهذه الخلفية جعلت الأديب ذا صلة وقرابة بالسّجن « سواء بالمرور بها كتجربة أو عن طريق الاختلاط بمن عاشها بحيث أصبحت قضايا الفكر ومشكلات الأيديولوجيا (التمة) الرئيسية والمحور الغالب عند كثير من كتاب الرواية العربية المعاصرة، لاسيما الذين يتبنون موضوعات السياسة والتجريب ».[2]

من هنا يمكن القول بأن الأدب عموماوكاتب الرواية خصوصا، قد أخضع السياسة، والقضايا الفكرية والإيديولوجية إلى التجريب الروائي، هذا بالنظر إلى ما عاشه كتجربة، أو ما صادفه في حياة من تعايش معهم، فكانوا تحت لواء السّجن الذي كان سببا للإبداع فيما سمي بكتابة المحنة. « إذا كان العامل النفسي هو المسبب الرئيسي لهذا الإنتاج، فإنه ليس السبب الدائم والوحيد، ففي بعض الحالات نجد الشعراء ينظمون قصائدهم والكتاب يدونون نثرهم تأثرا ... ورغبة منهم في تسجيلها والتّعبير عنها وايصالها إلى قطاعات عريضة، فتجربة السّجن بالتأكيد لا يمكن أن تمر مرور الكرام، فما يلاقيه المبدع خلالها وما يتّعرف عليه ويشاهده، يمثل مادة ثرية جدا بالنسبة له ».[3]

**ب: التأريخ**

إذا كانت الرواية غرضها تعرية وكشف عمق الواقع فلقد أخذت نصيبها من الأعمال المتحدثة عن السّجن، الذي أصبح التاريخ أحد العوامل التي بنيت عليه هذه الأعمال، نظرا لكون السّجن من لظروف التي تلقاها الإنسان العربي في فترات حياته، ومما تعرضت له دولته من اضطرابات سياسية أرغمته على دخول الزنزانة فراح يؤرخ لتلك الحقبة أو الحدث سواء في تلك الفترة بالضبط، أو بعد الإفراج عنه.

بهذا كانت تجربة اعتقال الشاعر أو الأديب ليست حقيقة يدان بها الحاكم، وإنما توثيقا يمكن للدارسين الرجوع إليه.

[1] إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006م، ص36.

[2] طه وادي: الرواية السياسية، منتدى سور الأزبكية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان–القاهرة، د.ط، د.س، ص2.

[3] فاطمة مسلماني: أدب السجون.

**ج: المعارضة والرفض**

كان لهذا العامل سببا في كتابة أدب السّجون، طبعا وذلك لا يعود إلا لكون « السجان سلاحه السوط والأقفال، فالمبدع يرى أن سلاحه قلمه والورق، ومن ثم يمكن اعتبار المقاومة كسبب لظهور أدب السّجون حيث يتخذ الكاتب من شعره أو مقاله منبرا مضادا للمنبر السياسي ... إذ يعلن الكاتب –عادة–سخطه على الأوضاع السياسية السائدة في وطنه قصدا أو عن غير قصد بوضوح، ويتجلى ذلك في مقاله، أو شعره، أو حتى في رواياته التي عبرت عن الغضب والرفض والمعارضة».[1] فالكتابة كثيرا ما كانت هي« اللغة [التي] جعلت أية محاولة للخروج عما هو سائد أمر غير مسموح به، ويشكل تحديا لما يريد المستفيدون أن يبقى».[2]

فالأدب بطبيعته ينزع إلى الحرية لذا فإنّ« السّجن السياسي يمثل تحديا للمبدع لابد له أن يجابه، مسلحا بالكلمة»[3]، فلقد أصبحت تلك البقعة الجغرافية الممتدة من الخليج شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، تعيش حياة سياسية، قل ما يمكن القول عنها أنها خارقة لحقوق الإنسان، مما تصدره أنظمتها الحاكمة الأشد استبدادا وتعسفا في معاملة المواطن العربي، هذا وقد بات القمع هو أساس التعامل بين السلطة والجماهير ... لإحداث ثغرة في جدار الاستبداد.[4] فالاتجاه الذي يأخذه الكاتب أو الشاعر لعرض رأيه ولا يسمع وينقلب عليه في السّجن هو الذي يحدث ثورة سواء بداخله أو خارجه، فيكتب وينتفض هذا لأن « أسباب الثورة تكتمل عندما تُلقى النّصيحة ولا تسمع، وعندما يستفيض التذمر ولا يؤخذ حسابه، وعندما تصبح الانتفاضة رسالة لابد لها من حاملين، لأن كل رسالة تجد رسلها، حتما مقضيا »[5]فكلما كان السّجن حتما كان الرفض والثورة حتما.

**المطلب الثاني: أجناس أدب السّجون وخصائصه**

**1– الأجناس**

إن الواقع الجديد الذي يعيشه السّجين، ما هو إلاّ نظرة عريضة ألقاها على الحياة بشتى اختلافاتها، دفعته للخوض في الكتابة عنها من خلال تجارب معبرة عن تلك القيم والمبادئ، والقضايا التي لابدّ لها أن تكون مجسّدة

[1] محمود حسين: لماذا ظهر أدب السجون؟ ولماذا هو مميز؟!، 28 مايو2015م، www.limaza.com، 2022/03/05، 14h :46min.

[2] عبد الرحمان منيف: بين الثقافة والسياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الأردن، لبنان–بيروت، ص165.

[3] يوسف شعبان: أدب السجون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 2014م، ص34.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص35.

[5] البردوني: رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه، دار العودة، بيروت، ط1، 1978م، ص68.

على واقع حي. لكن الحقيقة جرت على عكس ذلك لم يكن هاجسا ولا حدا، إنّما كان مقاومة نبعت من جوف غرفة الموت.

لقد شُكِّلَت كتابات حياة وراء القضبان في أغلب القوالب الفنّية من رسالة، قصة، رواية، مسرحية شعر...، حيث كانت بمثابة القذيفة التي أطلقت شراراتها، فاحتضنتها الأذهان. إنه المكتوب الذي عبر بصدق وإنسانية، وبصورة كان لها الأهمية والخطورة في ايقاظ الذاكرة على العنف ومكان نفايات البشر.

**أ: الرسالة**

إن من أجدى الوسائل التي أوصلت صوت المحتبسين إلى العالم الخارجي الرسالة، إذ عملت على تذكير «معارفهم بأمرهم وتعريفهم أحوالهم وحاجاتهم، وكانت المعبر الذي نفذ منه الكثير من الحرية، ويبدو أن التراسل حق مارسه السّجناء منذ القديم بعلم السلطة أو خفية عنها»[1] ذلك عبر رسائل كانت أشبه بنصوص أدبية حملت مشاعرهم وعبرت عن أفكارهم بأسلوب أدبي راق فتح لهم الموهبة، والقدرة الأدبية خلف القضبان.[2]

لا شك في أن فن التراسل سواء شفاهة أو كتابة، قد حفظ لنا شعر من وافتهم المنية في معتقله من الجاهليين، «وفي العصور الإسلامية استكثر الشعراء من التراسل، كأن أدوات الكتابة كانت مع كل سجين. فكاتبوا في شؤونهم الهامة، وجاملوا إخوانهم، ونقلوا إليهم خواطرهم ».[3] من هذه الرسائل ما بعث به ابن تيمية لابن الأخنائي المالكي في قضية شد الرحال، أثناء سجنه بسجن القلعة بدمشق يقول: «... خروج الكتب كان من أعظم النعم، فإنّي كنت حريصا على خروج شيء منها لتقفوا عليه، وهم كرهوا خروج (الأخنائية)* فاستعملهم الله في اخراج الجميع، وإلزام المنازعين بالوقوف عليه».[4] من هذه الرسالة يتضح أن مضمونها كان فيما يخص العامة من الناس في شؤونهم الهامة، فسجن ابن تيمية لم يكن إلا حسدا وكيدا آثر من نفوس سلطانه.

ومن الرسائل التي كتبت في السّجن ما كتبه إسماعيل بن عمار لابن أخ له يقال له معاذ:

أبلغ مُعانا عني وإخوته قولا وما عالمٌ كمن جَهلا

بأنّني والمصبِّحاتُ منّي يعُودون طورا وتارة رَملا

[1] أحمد مختار البرزة: الأسر والسّجن في الشعر العربي "تاريخ ودراسة"، مؤسسة علوم القرآن، دمشق- بيروت، ط1، 1405هـ/ 1985م، ص142.

[2] ينظر: رأفت حمدونة: أدب السّجون (الخصائص والمميزات).

[3] أحمد مختار البرزة: الأسر والسّجن في الشعر العربي "تاريخ ودراسة"، ص142.

[4] ابن تيمية ( تقي الدين أحمد بن عبد الحليم): رسائل من السّجن ، تق: محمد العبدة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط4، 1406هـ / 1986م، ص40.

لخائف أن يَكون وُدّكمُ إيَّاي بعدَ الصفاءِ قد أفَلا

أئن عَراني دهري بنَائبة أصبحَ منهَا الفُؤادُ مشتعلا[1]

**ب: المسرح**

لقد كان للمسرح نصيب في أدبيات السّجن، وذلك يعود لاتصاله بالمجتمع ومختلف تقلباته السياسيةالاجتماعية، وحتى الثقافية والاقتصادية. وتجربة المسرح السّجني في بدايتها لم تكن إلا اسكتشاتألفت وأخرجت ومثلت من طرف المساجين أنفسهم، في حين كانت كل زنزانة بمثابة مسرح من نوع خاص، بداية من سيناريوهات مفترضة إلى تجسيد حي.

فالعروض المسرحية ما هي إلا نصوص، أشرقت من الروح المحبطة من هول الإحساس بالهزيمة، فصنعت الأمل من جديد من خلال عملية تطهير النفس من المعاناة، للاندماج من جديد في المجتمع الظالم،[2] وذلك بإزالة التوتر وقتل الرتابة، واستغلالها لتعميق الوعي، ومعالجة بعض القضايا الواقعية خصوصا في نهاية التسعينات. من بين المسرحيات التي مثلت في الأمسيات الأسبوعية داخل السّجن، نجد **مسرحية زنبقة الدم، وفدائي جريح**.[3]

**ج: الشعر**

إن ما شغله الشعر من حيّز في الحياة الأدبية بمختلف مناحيها، النفسية، الفكرية، والاجتماعية، ساعد على تشكله في الأدب السّجني بصبغة أكثر صدقا وإحساسا، إذ يعتبر من أولى الابداعات المعبرة عن الهمجية والألم الذي يعيشه السّجين في قبضة السجّان.

على ما يبدو أن هناك غزارة في شعر السّجون، نظرا لوجود العديد من الشعراء الذين عاشوا تجربة السّجن فكان تدوين الشعر عندهم بمثابة توثيق لما ذاقوه من مرارة في المعتقلات.

من بين الشعراء الذين نظموا قصائد داخل القضبان نجد فايز أبو شمالة، محمود درويش، مفدي زكريا، عبد الوهاب البياتي، أيمن العتوم، سميح القاسم، توفيق زياد... وغيرهم كثير.

---

[1] أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، تح: إحسان عباس، إبراهيم السعافين، وبكر عباس، دار صادر، بيروت- لبنان، ط3، 1429هـ / 2008م، مج:11، ص252.

* الأخنائية : كتاب لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، تضمن العديد من المسائل والموضوعات.

[2] ينظر: بدر زكريا: شهادة حول المسرح في السّجن ولادة مسرح وموته، العدد: 17، تشرين الأول أكتوبر 2020م، ص108.

[3] ينظر: رأفت حمدونة: أدب السجون (الخصائص والمميزات).

يقول أبو شمالة، في ديوانه (حوافر الليل) الذي نظم كافة قصائده أثناء وجوده أسيرا في سجن نفحة الصحراوي.

أيا سوسن الرّوح ... هذا فؤادي إليك سَماء

وأرض تنامت عليها الغصون

أيا سوسن الرّوح ... هذي حياتي دماء تنادي

بلادي بلادي ... فضاء التمنّي ووهج السّجون. [1]

وكذلك نجد شاعر الثورة مفدي زكريا الذي أصدر ديوانه (اللهب المقدس) عندما كان بسجن بربروس، إذ يقول في قصيدته **الذبيح الصاعد** التي نظمها في الليل أثناء تنفيذ حكم الإعدام على أول شهيد دشن المقصلة المرحوم أحمد زبانا، في ليلة 18جوان1956:

قام يختالُ كالمسيح وئيـــــدا يتهادى نَشوان، يَتلو النشيدا

باسم الثغر، كالملائكة أو كالطِّ فلِ، يستقبل الصباح الجديدا

شامخا أنفه، جلالا وتيـــــها رافعا رأسه، يناجي الخلودا

رافلا في خلاخل، زغردت تمـــ ـلأ من لحنها الفضاء بالبعيدا!

حالما، كالكليم، كلمة المجـــــ دُ، فشدُّ الحبال يبغي الصعودا.[2]

قد أوضحت هاته الأبيات مدى قوة تحدي السّجين للسّجّان، رغم أنه على حافة الموت، فالموت شرف في سبيل الوطن.

ويقول أيضا في قصيدة أخرى بعنوان **زنزانة العذاب رقم 73**، وهذا عندما زج به في زنزانة مظلمة، حيث أخذ ينشد بيتا ويحفظه لاستحالة كتابته.

سيَّان عندي، مفتوح ومُنغـــــلِق يا سجنُ، بابُك، أم شُدّت به الحلقُ

[1] إيمان مصاروة: أدب السجون في فلسطين دراسة توثيقية، شبكة محررون الإصدار الالكتروني رقم 136، د.ب، د.ط، 2020م، ص106.

[2] مفدي زكريا: اللهب المقدس، منتدى سور الأزبكية عاصمة الثقافة العربية، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية– الجزائر، د.ط، 2007م، ص17.

أم السّياطُ، به الجلاد يلهبـــني أم خازن النَّار، يكويني فأَصطفقُ

الحوض حوضٌ، وإن شتى منابعه ألقى إلى القعرِ، أم أسقى فأَنشرقُ

سري عظيم، فلا التّعذيب يسمح لي نطقا، وربٌّ ضعاف دونَ ذا نطقُوا![1]

كما نجد من الحصاد السّجني ما أنتجه عبد الوهاب البياتي في مجموعته الشعرية (أباريق مهمشة)، حيث يقول في قصيدته الأسير

يا ملاكي الصّغيرُ هل عرفت الألم؟

والبكاءَ المريـــرُ والهوَى والندم!

والطريقَ الأخير وخبيثَ السأم!

يا ملاكي الصغير هل عرفت الألم؟

...

باللظى تستجيرُ والسراب الأصم[2]

إلى جانب الشاعر عبد الوهاب البياتي، نجد محمود درويش، الذي نظم العديد من القصائد السّجنية عن حب الوطن، والتحدي والتوق إلى الحرية والتي نجد معظمها في ديوانه (آخر الليل) و(عاشق من فلسطين) يقول في قصيدته **رد الفعل** من ديوانه (آخر الليل):

وطني يعلمني حديد سلاسلي

عنف النسور ورقة المتفائل

ما كنت أعرف أن تحت جلودنا

ميلاد عاصفة وعرس جداول

سدُّوا عليّ النور في زنزانةٍ

[1] مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص25.

[2] عبد الوهاب البياتي: أباريق مهمشة (شعر)، منشورات دار الآداب، بيروت، ط4، 1969م، ص50.

فتوهجت في القلب شمس مشاعل.[1]

ويقول أيضا في قصيدته برقية من السّجن من ديوانه (عاشق من فلسطين):

من آخر السّجن، طارت كفُّ أشعاري

تشدُّ أيديكم ريحا... على نار

أنا هنا، ووراء السور، أشجاري

...

منذ جئت أدفع مهر الحرف، ما ارتفعت

غير النجوم على أسلاك أســـــــواري.[2]

يبقى الحديث عن الشعر كجنس من أجناس أدب السّجون طويل لغزارته، لكن ما يسعنا القول فيه أنّه رغم اختلاف التجارب الشعرية من شاعر لآخر، ومن بلد لآخر إلا أن هناك نقطة التقاء بين هؤلاء الشعراء الذين فاضت قرائحهم، فباحوا بما في نفوسهم من شعر على شكل نصوص سواء كتبت أو نطقت شفاهة داخل القضبان.

**د: الرواية**

يعد الأدب حقيقة تعبيرا عن المجتمع، وما يجري فيه من نُظُمٍ وعقائد وأفكار[3]، إذ نجد كل من القصة والرواية جنسا من أجناسه.

لقد كانت الرواية من بين السرديات التي حضيت بالمكانة البارزة في أدب الاعتقال، فهي نقلت تجربة السّجن من السمع إلى المشاهدة بحيث كان لها القدر الكبير، في التأليف من قبل المثقفين الذين ذاقوا مرارة السّجن، فقرروا تدوين ذلك في يوميات ارتقت لأن تكون تجربة روائية ناجحة، في مسيرة أدبية اكتملت بالنضوج.

[1] محمود درويش: آخر الليل، 1967، ص53.

[2] محمود درويش: عاشق من فلسطين، 1966، ص24.

[3] ينظر: شوقي ضيف: البحث الأدبي: طبيعته مناهجه أصوله مصادره، دار المعارف، بيروت- لبنان، ط6، د.س، ص113.

و«تعتبر الرواية في عصرنا إحدى أهم الوسائل التي يمكن من خلالها «قراءة» مجتمع ما. إنها تقرأ المجتمع بتفاصيله وهمومه، ...تحاول أن تشير إلى مواضع الألم والخلل، ... كما لا تلجأ إلى تجميل القبح أو الهروب منه. ولا تخاف القضايا الساخنة أو الحرجة، وإنما تلج إلى أعماقها، وإن يمكن في أغلب الأحيان غير مباشرة»[1] ، هكذا كانت الروايات السّجينة قائمة وفاعلة، إذ أصبحت المرآة العاكسة، يرى فيها الشعب نفسه، إذ تحكي الألم والمهانة، وتكشف كم هم قساة وأنانيون الحكام لذلك لابد من الوعي بذلك، فالأديب أو المثقف أولا وأخيرا، لم يكن يهتم بالناحية الجمالية، بقدر ما كان يهتم بالدلالة السياسية، والإجتماعية في كتاباته،[2]وهذه هي الرسالة الحقيقية للرواية السّجينة والتي أردت أن توصلها حين وجدت أنّ من أهم القضايا وأبرزها في الحياة الإجتماعية القمع والذي يجب التصدي له.

قياسا على الأجناس الأخرى، نرى بأنّ الروائة من أكثر الأجناس تعبيرا عن حياة السّجن، وحالة الأسر والاعتقال، والتي شاعت بين الأدباء في حين بقيت تجربة خالدة ومعبّرة عن الألم والمأساة، إذ نجد من بين النماذج والكتابات الروائية:

- عبد الرحمن منيف: شرق المتوسط *
- صنع الله إبراهيم: شرف، تلك الرائحة.
- الطاهر بن جلّون: تلك العتمة الباهرة.
- أحمد المرزوقي: تزمامرت الزنزانة رقم10.
- أيمن العتوم: يا صاحبي السّجن، يسمعون حسيسها.
- مصطفى أمين: سنة أولى سجن.
- فاطمة العراقي علي العراقي: مذكرات سجينة صفحات حمراء من تاريخ منسي.
- مصطفى خليفة: القوقعة «يوميات متلصص»

[1] عبد الرحمن منيف: بين الثقافة والسياسة، ص 167، 168.

[2] ينظر: مخلوف عامر: الرواية والتحولات في الجزائر (دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية) دراسة، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط،2000م، ص07.

* هناك من الدارسين من يرجح أن رواسة شرق المتوسط لعبد الرحمن منيف، أول رواية عربية في أدب السّجون.

- ممدوح عدوان: حيوية الإنسان.

- أحمد حسين: وراء القضبان.

- زكريا بوغرارة: الأكف الممزقة.

وفي ضوء ذلك نتوصل إلى أنه بقدر ما كان أدب السّجون تصفية للحسابات وإدانة جديدة لإدارة سياسية، بقدر ما كان مبنيا على قصدية إجلاء بعض الغوامض التي صاحبت التجربة، فبقراءة أدبيات هذه التجربة التي أنتجت شعرا، قصصا، رواية، رسالة، مسرحية وغيرها نجد أنه لا مجال لتفسير هذا التراكم الإبداعي، بل إنه ضرورة حتمية وليس ترفا، ووجودها لم يكن إلا إنصافا وانتصارا للإنسان، الذي يدافع عن حريته وكرامته، ووجوده المتعدد سواء السياسي أو الإجتماعي أو الفكري، فهذه الإبداعات لم تقف فقط عند لحظة السّجن والاعتقال بل تعدت ذلك لتشمل مساحات إنسانية أوسع وأكبر كالحب والصداقة، وأحلام التغيير وإعادة البناء وغيره، ولهذا نجد أن كل شاعر، أو روائي، أو مسرحي، أو رسام لم يسجن نفسه في جدران الزنزانة، بل طار بأجنحته وفكره إلى ما وراء هذا الإطار.[1]

## 2- الخصائص

إنّ خصوصية المكان (السّجن) الذي يعيش فيه السّجين، جعلت من ثمرة إبداعه الأدبي ذا خصوصية ميزته بمجموعة من الخصائص المعنوية والفنية وهي كالآتي:

### أ- خصائص معنوية

#### - الصدق

أدب السّجن حقيقة معبرة عن تجربة شعورية محضة، انطلقت بعفوية وصدق ممن عايشوها. لذلك فصدق الإحساس "لابد له أن يعتمد على نفاذ البصيرة، وألمعية الفكر، فإنّه لا سبيل إلى الإحساس الصادق والتعبير الصادق إلا إذا كان الكاتب مزودا بقوة الفهم للنفس، وبالقدرة على سبر أغوارها، بالحدق في تصيد خوالجها الباطنية"[2] أي أنّ الصدق الأدبي يرتبط بالوعي الفني للحركة النفسية وما يصاحبها من مشاعر، فالظروف

[1] ينظر: يوسف شعبان: أدب السجون، ص 7،8.

[2] محمد يوسف نجم: فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 1995م، ص129.

والملابسات النفسية العديدة التي رافقت نظمها ما هي إلا تعبير صادق كان هو الطابع الأوّل الذي حمله إبداع السّجين وراء أسوار الجحيم، فبالصدق يحتل مكانا عليّا في الأدب العربي والإنساني.[1]

ومن هذا المبدأ فإنّ الأدب الذي أنتجه هؤلاء المبدعون ،ما هو إلا محاولات توثيقية لبيانات ثورية ضد الجبت والطاغوت، ووثيقة إدانة أرّخت لمرحلة هي من أبشع مراحل المواجهة مع الطاغوت البعثي، إنها صرخة ألم للأيام السود في دنيا النسيان وصفحة ضمير من دون صدى استمد مداد قلمه من لسعة آهات السنين العجاف، إنّها مذكرات صفحات حمراء من دم قان.[2]

ولذلك لم يكن أدب السّجون إلا شهادة رصدت الواقع بصدق وسلمته للأجيال الحقة كإرث لابد من استمراره وتدارك وحشيته لدي أجيال الحق لاسترداده عاجلا أم آجلا.[3]

**– النزعة الإنسانية**

« هي كل مذهب يضع حاجات الإنسان ومصالحه في بؤرة الاهتمام، والذي يعني بإشباع حاجات الإنسان ومساعدته في تحقيق ذاته»[4] أي أنّها تولي الاهتمام بالإنسان ومصالحه. والنزعة الإنسانية هي التي لا يعادي شخصا أو فكرة، أو قومية، أو دينا، إنها لا تسعي إلى التخلص من خصومها، وإنما تسعى إلى تعليمهم وتثقيفهم. والنأي بهم عن أحقاد الذات، وهستيريا الرؤيا.[5]

والأدب إنساني بذاته، إنساني بأصله. والأديب إنساني بوظيفته وهذه سمة الأدب الأولى، فهو يعرض السمات والمهيمنات التي تتشكل منها النزعة الإنسانية على نحو واضح إذ تشكل توجها فكريا وثقافيا بينا، يعلي من قيمة الإنسان فيسمو به، واثقا بقدرته على إنتاج حياة أفضل وواقع أجمل[6]؛إذ أنّ الأدب يشير إلى الاهتمام بالإنسانيات والثقافة الأدبية، ما جعل الرواية « تنتصر للإنسان في مواجهة كل ما يفقده إنسانيته ويسعى إلى تأويله إلى سلعة أو آلة... لأنّ الكاتب من خلال الرواية يجد هناك برلمانا ديمقراطيا واسعا متعدد الأصوات والآراء

[1] ينظر: أحمد مختار البرزة: الأسر والسجن في شعر العرب "تاريخ ودراسة"، ص646.

[2] فاطمة العراقي/ على العراقي: مذكرات سجينة صفحات حمراء من تاريخ منسي، دار الفقه، العراق، ج1، د.ط، د.س، ص7.

[3] ينظر: فاطمة العراقي /على العراقي: مذكرات سجينة صفحات حمراء من تاريخ منسي، ص44.

[4] بهاء الدين محمد ميزيد: النزعة الإنسانية في الرواية العربية وبنات جنسها، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط1، 2007-2008، ص53.

[5] ينظر: أحمد حمد النعيمي: النزعة الإنسانية في الرواية العربية المعاصرة (نماذج تطبيقية)، إش: محمود السمرة، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2005، ص1.

[6] ينظر: عزيز حسين علي الموسمي: كتاب الناس النزعة الإنسانية في أدب زيد الشهيد الروائي، أمل الجديدة طباعة نشر وتوزيع، د.ب، د.ط، د.س، ص13.

والشخوص للتعبير عن حدث ما، أو واقع ما يعيشه هذا العالم».[1] وهذا ما برز بوضوح في الكتابة الأدبية الاعتقالية التي اتسمت بالإنسانية، رغم الظروف القمعية الشديدة، وما عانته من كبت للحريات على أشكالها كلها ثارت وساعدت على تنوير الوجدان الإنساني « فإرادة الإنسان الحر-في أغلب الأحوال-أقوى من القيد أو السّجن كما قد يبدو السّجين إذا كان مؤمنا بقضية عادلة وجرى سجنه من أجلها، أكبر من سجنه وسجّانيه وبذلك يتحول السّجن إلى الخلفية المكانية التي قد تكون تعبيرا عن الإرادة الإنسانية».[2]

وعلى النقيض الذي جسده معظم أدباء السّجون، من غياب الجانب الإنساني لدى السلطة والسجّان وحتى المساجين أنفسهم فيفر كل واحد بنفسه، باحثا عن الخلاص، نجد رواية (سنة أولى سجن) تهمس بلفتة إنسانية من سجّان حيث يقول مصطفى أمين «كانت من بين وسائل التعذيب التي لجأوا إليها أن صدر قرار بمنعي من الأكل والشرب؛ والحرمان من الأكل مؤلم، ولكنه محتمل الجسم يتحمل الجوع، ولكن العطش عذاب لا يحتمل. وخاصة أننا في أواخر شهر يوليو الحرارة شديدة قاسية، وأنا مريض بالسكر... الجوع لمدة ثلاثة أيام أمر محتمل. أما العطش فهو عذاب مثل ضرب السياط، كنت أسيرا في زنزانتي كالمجنون... وبينما أنا أترنح، رأيت باب الزنزانة يفتح بهدوء ورأيت يدا تمتد في ظلام الزنزانة تحمل كوب ماء مثلج... ورأيت حامل الكوب يضع إصبعه على فمه وكأنه يقول لي لا تتكلم».[3]

من هذا يمكن أن ننوه أنّ الرواية السّجنية تروي جانبا من الحياة بتقديمها مادة توقظ إنسانية الإنسان وآدميته دون فجاجة أو صرا، فجوهر الإنسان يبقى واحدا مهما اختلفت تجلياته.

**- وصف المعاناة والمآسي**

بالتنقيب والتقليب في مختلف التجارب الأدبية التي خاضت في موضوع السّجن، سنجد أن معظم من نعاطى مع الكتابة والإبداع في هذا الشأن قد خص التعبير عن شخصه، ومعاناته، وصراعه العنيف.

لا غريب أن تكون المأساة خاصية في أدب السّجون، مادام السّجن يعادل الأسى والمشقة، والمأساة على حسب أرسطو ما هي إلا « محاكاة لفعل جاد في ذاته تتم في شكل درامي بأحداث تثير الشفقة والخوف وفق مبدأ التطهير».[4]

[1] بهاء الدين محمد مزيد: النزعة الإنسانية في الرواية العربية وبنات جنسها، ص59.

[2] أحمد حمد حميدي النعيمي: النزعة الإنسانية في الرواية العربية المعاصرة (نماذج تطبيقية)، ص164.

[3] مصطفى أمين: سنة أولى سجن، دار أخبار اليوم، د ط، 1991، ص13، 14.

[4] ينظر: أرسطو: فن الشعر، تر وتق وتع: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، د.ط، د.س، ص35.

ويأتي على نقيضه راسين، الذي يعتبر أنه ليس من الضروري « أن يكون ثمة دما وقتلا في المأساة، إذ يكفي أن يكون الفعل عظيما والأشخاص بطوليين والمشاعر مستثارة».[1]

فقد صور الروائي أيمن العتوم المأساة والمعاناة التي يعيشها السّجناء خلف القضبان فيقول: «استمر الجوع ما يزيد عن شهرين، استفحل الأمر وازداد الجلادون في تعذيبنا بالجوع من كان يملك إيمانا عميقا حافظ على خلايا دماغه من التلف»[2] وعلى هذا فالسّجناء يحرمون من أبسط حاجاتهم اليومية.

وفي موقف آخر يصور الكاتب معاناة السّجناء وظلم السّجّان ويجسد ذلك في قوله: « جاؤوا بسلاسل من الحديد، أمسك إثنان منهما يدي قربا عظمتي كاحلي وراحا يشدان العظمتين كان الألم لا يوصف، اختلط العرق بالدم... لم يرحماني ربطا رجلي بالسلاسل، وشدا على العظم إثنين فأحسست أن عظم كاحلي قد تهتك وتفتت داخل الجلد...ووضعانب بعدها في الدولاب، وبدأت الحفلة المرعبة»[3]

**ب: الخصائص الفنية**

قول اللغة تحتوي كل الإبداع الأدبي، يحيلنا على انها أحد السمات المهمة في عملية الكتابة، حيث إنها ذات أساليب متعددة من بينها الوصف، ورافد كان لها أثر في تحديد جماليتها إذ نجد ذلك في الرمز والزخرف اللفظي، التناص، والايقاع.

**– الإيقاع**

لم يكن الشعر وحده الذي احتضن الجانب الإيقاعي ومنه «البناء الروائي يحتاج إلى الإيقاع بغية إكمال التوازن بين الراوي والجزيئات»[4]، إنه ليس جمالية فقط بل منسق لجميع عناصر الرواية وموسيقى له، ولازمة تتكرر بغرض تذكير القارئ بالبطل المحوري صاحب التأثير الرئيسي.[5]

إذ أنّ الإيقاع هو « موسيقى ناتجة عن وسائل متعددة أهمها التكرار، تكرار كلمات معينة أو متشابهة أو حرف أو حروف متحدة المخرج أو متقاربة أو ذات صفة جرسية واحدة»،[6] حيث ينقل الفاعلية إلى « المتلقي

[1] عبد الواحد لؤلؤة: موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1989، مج: 01، ص20.
[2] أيمن العتوم، يسمعون حسيسها، دار المعرفة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2015، ص 229-230
[3] أيمن العتوم ، يسمعون حسيسها، ص 240.
[4] سمير روحي الفيصل: البناء والرؤيا (مقاربات نقدية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2003، ص214.
[5] ينظر: المرجع نفسه، ص214.
[6] كمال أبو ديب: في البنية الايقاعية للشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، د.س، ص228.

المتلقي ذي الحساسية المرهفة الشعور بوجود حركة داخلية ذات حيوية متنامية، تمنح التتابع الحركي وحدة نغمية عميقة عن طريق إضفاء خصائص معينة على عناصر الكتلة الحركية»[1] إذن فالإيقاع لا يقتصر على الصوت الذي يحدثه في نفس المتلقي من خلال تكرار الحروف والكلمات، أو من خلال الوزن، فهو يتعدى إلى الصورة التي يرسمها ويتفنن في إيضاحها وهذا ما يظهر جليا فيما تناوله أدب السّجنيات، فتصوير المشهد بتفاصيله يحدث وقعا لدى القارئ وهذا ما حملته جنس الرواية السّجنية التي شرحت الواقع السّجني وأوضحت صورة الحاكم والمحكوم.

**– التناص**

« التناص في أبسط صوره يعني أن يتضمن نص أدبي ما نصوصا أو أفكار أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي للأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي ليتشكل نص جديد واحد متكامل»[2]. وبهذا نجد أن النصوص هي قابلة لولادة نص جديد، من خلال قراءة أخرى للنص قراءة بنيوية والتي ترى أن النص بموت مؤلفه، فيخلق بذلك نصوصا جديدة من خلال أخذ فكرة أو تضمين أو اقتباس من النص الأصلي.

**– الرمز والتصوير الفني**

يعد الرمز من أكثر الوسائل الفنّية استخداما في الأدب العربي الحديث عامة، والسياسي أو المقاوم منه على وجه الخصوص، وهذا لما رآه الأديب من أنّه التعبير المناسب لهذا العصر وما يحتويه من متقلبات جعلته يمارس تلك الإحتياجات بنوع من الغموض والإيحاء وتوظيف الرمز. هذا الأخير الذي عُدّ الأداة التي شغف بها الأديب، والتي أعطى لها الدور الكبير في تحمل عبء التجربة الشعرية التي بداخله ونقلها إلى خارج عوالمه[3].

ذلك أنّ « الرمز الأدبي مثالية تعتمد في الأصل على فعالية الذات»[4] بمعنى الرمز هو الذي يولد الشعور، والتفاعل الذاتي، عن طريق اللغة التي حطمت الأطر النصية، لتنقل للقارئ دلالات ذات سياقات تجعله يسبح في مخيلته، هذا «إذا كانت اللغة الشعرية هي لغة المجاز فإنها أيضا لغة الرمز»[5]، ومعنى ذلك إذا كانت اللغة

[1] كمال أبو ديب: في البنية الايقاعية للشعر العربي، ص230.

[2] أحمد الزغبي: التناص نظريا وتطبيقيا، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2000م، ص11.

[3] ينظر: أحمد قيطون: الرمز والتجديد المستحيل، مكتبة مقاليد، العدد:01، جوان 2001م، ص115.

[4] محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، د.ب، د،ط،1977، ص 38.

[5] علي فاتح الله أحمد محمد: تطور أنماط الرمز في الشعر العربي، مجلة الكلم(دورة محكمة)،مختبر اللهجات ومعالجة الكلام، جامعة وهران–1–، أحمد بن بلة، الجزائر، العدد:04،2017م، ص83.

وشاعريتها تكمن فيما تنتجه من تأمل أشياء ما وراء النص، وما يهدف لها الأديب، فإنّها أولا وقبل ذلك كانت لغة رمز لشيء أراد الأديب إحالته من المعنى الوضعي المتعارف عليه إلى أفق آخر مجهول، استطاعت لغة المجاز رصده والتعبير عنه بطريقة رمزية محكمة،ولقد عُرِف الرمز على أشكال عديدة من بينها: الرمز الديني، الأسطوري، التاريخي وغيرها من الأشكال الرمزية التي كان للمبدع أن يتجاوزها معها بمشاعره، وعواطفه لما وجد فيها من تجريب جديد، وحرية سمحت له الخوض في الكتابة بطريقة رآها أكثر صدقا وتعبيرا، وهذا ما ألجأ كتاب وأدباء السّجون تحديدا، إلى الكتابة عن هذا اللون الأدبي، خصوصا وأنهم رأوا في توظيف الرمز تلك الفرصة التي سمحت لهم بالإبداع في شيء واقعي وصادق، فما يريده الأديب طبعا هو نقل الواقع بتفاصيله خصوصا عن تلك الصورة التي دائما ما كانت تحت الحجاب ألا وهي صورة السّجن، ومجتمعه ككل، وما فيه من بشاعة يجهلها الإنسان، ولكن بطريقة تكون بعيدة عن العواقب والمشاكل المجلبة لنفسه تقول رحاب منى شاكر مؤكدة ذلك: « أول شيء يتعلمه السّجين بعد قدومه إلى مبنى السّجن هو كيف ينبغي مخاطبة السجان: سيدي. من اللافت في أدب السّجون أنّه لا يتم ذكر أسماء السجانين الحقيقية، أعتقد أنه حتى لو كان السّجن فهو لا يريد أنّ يجلب لنفسه المشاكل عبر الإفشاء به، فكلما كان النص أكثر غموضا حافظ الكاتب (السّجين السابق على أمنه أكثر)»[1]

يمكن أنّ نقول عن الرمز وما ساهم به، من خلال مناقشة قضايا المجتمع، أنّه فتح آفاقا جديدة لكتاب الرواية السّجينيّة، ذلك أنهم كانوا ضد التيار، ويسعون للتغيير وهذا ما أوضحه طه وادي متحدثا في كتابه (الرواية السياسية) يقول: «كتاب الرواية–وكثير ما هم– يسجنون ضدا التيار، ويسعون إلى تغيير الواقع من خلال نصوص سردية، هي بطبيعتها حمّالة أوجه، تنافس قضايا المجتمع الساخنة وأزماته الحادة عن طريق سرد يعتمد على الكناية والرمز والدلالات البعيدة»[2].

بالنظر للوصف أو التصوير الفني نجد أنّه إحدى التقنيات المهمة في بنية السرد للعمل الأدبي، إذ إنّه الوعاء الذي يحمل أبعاد الشخصيات، المكان، الزمان، بحيث يصورة الأحداث والوقائع بأسلوب تيليغرافي، يجعل قارئ أدب السّجون يحمل تلك التجربة كأنه عاشها، ذلك أنّ المبدع في أدب السّجون لم يعتمد وصفا عاديا، بل إنّه جعله أشبه ما يكون تصويرا فوتوغرافيا يصف الواقع وينقله للقارئ بطريقة تجعله يتأثر ويتفاعل معه، «فالوصف هو محاولة تجسيد مشهد من العالم الخارجي في لوحة مصبوغة من الكلمات»[3] يقدمها الكاتب للمتلقي بحيث يجعل

[1] رحاب منى شاكر: السجان في أدب السجون(1980–2008م)، منشورات مجلة الجمهورية الرقمية، برلين، 2020م، ص20.

[2] طه وادي: الرواية السياسية ، ص269.

[3] سيزا قاسم: بناء الرواية دراسة مقارنة في «ثلاثية» نجيب محفوظ، مهرجان القراءة للجميع مكتبة الأسر، د.د، د.ب، د.ط ،2004م، ص155.

من اللغة مرئية إذ أن التصوير قادرا على رسم الصورة والتي هي « إبداع خالص للذهن Esprit ولا يمكن أنّ تنتج عن مجرد مقارنة أو تشبيه، إنّها نتاج التقريب بين واقعتين متباعدتين قليلا أو كثيرا، وبقدر ما تكون علاقات الواقعتين المقربتين بعيدة وصادقة بقدر ما تكون الصورة قوية وقادرة على التأثير الإنفعالي ومحققة الشعر»[1] هذا ما يوضح أنّ قدرة الشاعر في الإبداع من خلال ربطه بين صورتين مختلفتين لكن لها معنى واضح، فيوظف بذلك جمالا فنيا للإبداع ذلك أنّ « الصورة في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني، أو يرسم بها صورة شعرية لذلك يتصل الحديث عن الصورة الشعرية بالعبارة»[2]، من هنا يمكن القول أن العبارة هي المادة الأولى والأخيرة التي يبني عليها الشاعر، أو الأديب صورته على السياق الذي يريد إيصاله للقارئ، هذا باعتبار الصورة هي « الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة...حيث إنها أداة للرسم والإيحاء تحل ضائقة التعبير المباشر لما لها من قدرة على استنطاق القارئ وحمله على التأمل فيها بغية تأولها، وكشف المراد المحتمل من غموضها»[3].

المادة التصورية تحول «ملكة الشاعر الخيالية إلى صورة حية، إذ تزيح الستار المادي عنه، وتكشف عن روحه وما يكمن وراء ظاهره، فإذا كل ما نبصره جامدا أو ساكنا يتحرك بنفس إحساساتنا ومشاعرنا»[4]، بمعنى إن التصوير يجسد لك قدرة الشاعر في التخييل، من أجل إعطاء صورة واقعية تترجمها العواطف المكنونة.

[1] الولي محمد: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، ط1، 1990، ص 16.

[2] عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، د.ب، د.ط، 1988م، ص391.

[3] محمد مراح: هندسة المعنى في الشعر العربي المعاصر محمود درويش نموذجا، إش: عبد الوهاب ميراوي، رسالة ماجيستر في تحليل الخطاب، كلية الآداب اللغات والفنون، جامعة وهران،2012م،201"م/، ص80.

[4] شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، بيروت–لبنان، ط3، د.س، ص229.

## المبحث الثالث: قضايا أدب السّجون ومواضيعه وأهدافه

### المطلب الأول: قضايا أدب السّجون ومواضيعه

يعتبر أدب السّجون تربة خصبة للكثير من الأدباء سواء القدامى أو حديثي الفكر الأدبي، نظرا لما يحتويه من مفاهيم، ومواضيع معبرة عن مختلف القيم الإنسانية، فالبعودة لماضي هذه الكتابات السّجنية نجد أن معظمها تناولت قضايا تنحصر في إطار طلب العفو، الإعتذار والإستعطاف، الصبر وبكاء الأحبّة، الجزع والخوف، الهجاء والتمرد وغيرها، أما الكتابات الحديثة فقد تناولت صناعات أخرى نظرا لطبيعة الثقافة الحياية، وما أحدثته كل من النظام السياسي وكذا الإجتماعي، الذي انصب على الأديب فراح ينسخ أدبا، ويخرج مواضيع تمس هذا التأزم الذي يعيشه المجتمع، إذ من بين هذه المواضيع والقضايا نجد:

#### 1- وصف واقع السّجن والسّجين

السّجن فضاء العقوبة يتوقف فيه الزمان، لتنطلق فيه رحلة جديدة ذات شخوص، وميقات، فضاؤها يلزم السّجين الخضوع للسلطة تقيد حريته وفق ما يقتضيه منطق الرواية، التي حملت سرد وقائع صادقة لتلك الحالات الشعورية للسّجين باعتبار أن واقع السّجن مشترك بين السّجناء آلام وآمال لهما.

وفي هذا السياق نجد الكاتب المغربي " الطاهر بن جلون" يقف في وصف الزنزانة متحدثا عنها بقوله: «في الواقع، كان القبر زنزانة يبلغ طولها ثلاثة أمتار وعرضها متر ونصف المتر، أما سقفها فوطيء جدا يتراوح ارتفاعه بين مئة وخمسين ومئة وستين سنتيمر. ولم يكن بإمكاني أن أقف فيها... حفرة قطرها عشرة سنتيميترات كانت جزءا من أجسادنا، والأفضل أن تسارع إلى نسيان وجودها»[1].

أما أحمد المرزوقي فيقف واصفا الزنزانة بقوله:«باب الزنزانة من الحديد السميك لونه رمادي غامق، يحمل فوقه رقما أعوج... في وسط الزنزانة نويفدة مستطيلة تطل على الدهليز وتغلق من الخارج بمزلاق»[2].

وبالنسبة لمصطفى خليفة في وصفه للسّجناء عند دخول الطعام للمهجع يقول: «ثلاث ليال... وثلاث مرات يفتح الباب في اليوم ويغلق، وفي كل مرة يفتح الباب... يدخل الطعام في أوان يسمونها قصعات، صباحا لكل واحد رغيف مرقد مع قطعة حلاوة،... وفي المساء كذلك تدور القصعة من شخص لآخر... يرفعها يرشف

[1] الطاهر بن جلون: تلك العتمة الباهرة، تر: بسام حجار، دار الساقي، لبنان-بيروت، ط1، 2002م، ص9.

[2] أحمد المرزوقي: تزمارت الزنزانة رقم 10، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2012، ص86.

منها، يناولها لمن بجانبه... لن أنسى أبدا الطريقة التي تخاطف بها الناس قطع اللحم في المرة الواحدة التي جلبوا فيها اللحم. فكرت حتى االوجبتين الصباحية والمسائية لولا رئيس المهجع لتحول المهجع إلى غابة»[1].

من هنا يتبين أن الجوع فرض على السّجين أن يكون كحيوان الغابة القوي يأكل الضعيف.

وبالعودة إلى محمد عادل فارس نجده يصف عمال السّجن،وهذا نظرا لمعايشته لكثير منهم بحكم تحويله في كل مرة لسجن من سجون سوريا يقول: «الصفعة العامة لمعظم ضباط المخابرات والمحققين الذين عرفتهم أنهم قليلوا الذكاء فضعيفو الضمير محدودو الثقافة، جفاة الطبع منحدرو الأخلاق... أما السجانون والجلادون فيتسمون عادة بالغباء والمحدودية وضعف الثقافة بل والأمية أحيانا»[2].

يصف المحقق الذي قبض عليه وشارك في عملية تعذيبه فيقول: «أبو غيات إنه نفسه، المحقق عبد القادر حيزة... متوسط الطول ذو كرش كبيرة أسمر اللون، يتأنق بملابسه ليبدو منظره مقبول، وهو يحوز درجة متقدمة في الغباء وضعف الثقافة!!..، متسلق، متكسل، مرتزق، يروقه ممارسة التعذيب على الآخرين ليستكمل التحقيق ويرضي مشاعره السادية»[3]

أول شيء يعيشه السّجين هو المعاناة (معاناة الفقد، مرارة العيش والتعذيب، وما إلى غير ذلك)، فهي أول ما يبدأ السّجين في وصفه.

ومن جانب أخر تتحدث مارينا نعمت عن السّجن وأفردته على أنه الموت إذ يقول: « كان «إيفن»...واسمه يبث الرعب في القلوب، فهو مرادف للعذاب والموت،... لم يتحدث أحد عن «إيفن» قط، إذ كان محاطا بجدار من الصمت المخيف»[4] فالسّجن ولّد المعاناة، والعذاب، والموت، واللّسان عن قول الحقيقة، وورّث الأمراض، وفيها يتحدث أحمد مختار البرزة «كانت الحبوس... ولا سيما المتأخرة على حال متناهية في السوء، والإيذاء، يلقى فيها كثير من المحبوسين هلاكا، لما فيها من الظلام والقذارة والوضع الصحي المتدهور ...تورث المرض العضال والموت»[5]، وهكذا لم يكن السّجن وحالته المزرية وحدها كافية للتأثير، إنّما لم يسلم السّجين من بطش المعاملة الوحشية، والعنف بأنواعه الذي أزاح ستار الإنسانية والضمير من ممارسيه،

[1] مصطفى خليفة: القوقعة (يوميات متلصص).

[2] محمد عادل فارس: لأنهم قالوا لا ناشرون بلا حدود، ط1، 1428هـ/2007م، ص23.

[3] المرجع نفسه، ص33، 34.

[4] مارينا نعمت (Marina Nemat): سجينة طهران قصة امرأة داخل أحد السجون الإيرانية، تق فاطمة ناوت، تر: سهى الشامي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط3، 2014م، ص100.

[5] أحمد مختار البزرة: الأسر والسجن في شعر العرب تاريخ ودراسة، ص123.

فالجلاّدون«كانوا جميعا يفركون أياديهم تلذذا باقتراب ساعة البطش والتنكيل»[1] هذا ما خلق في الأئسير موجة عاتية، لا يدري بقها كيف يكون منتهاه في هذا المكان، صوت بداخله يقول:«أن السّجن كائن خفي رهيب شامل لا يتجزأ، نصفه سكن ونصفه إنسان، وأنا فريسته، وهو يحيطني بمخالبه...آه! يالي من بائس. ماذا سيحدث لي؟».[2]

## 2- وصف الظلم والقهر وقوة التحدي

الحياة بمناحيها مبنية على مبدأ الحريّة والإنسانية، لكن الشيء الذي لا يخفى عنّا أن هناك نوعا من الاختراق لهذا المبدأ، وهذا طبعا ما جعل ذلك المسار السلمي الذي سلكه الإنسان الواعي المثقف بفرديته وبشكل أقرب ما يكون خافتا وهادفا للتحريض إلى أن يتحوّل إلى انتفاضة وحركة شعبية مارستها الجماعة التي استوعبت هذا الموقف الذي وضعها في الصورة الحقيقية للاستبداد الذي يعيشونه، وهذا ما خلق عنفا يقابله عنف مضادة (التمرد والإنقلاب) ففكرة الظلم ولدت فكرة الحرّية التي لا مكان للنزاع والنقاش حولها، وبهذا يمكن القول إن الظلم كموضوع لم يكن قاصرا على الأديب ولا حتى الشاعر، «إنّما كان بصمة لكلّ كمن عانق تجربة السّجن وخاض في قوقعتها».

ويتجلّى موقف أيمن العتوم في قصيدته مشاعر في هوى الأردن مبرزا إصراره وصموده إذ يقول :

وأَلهبُوا النار في صدري فصيّرني
أفروا من بردِ نيرانٍ لنيرانِ
لأَنَّني عِشتُ لاَ أَرضى بطاغيةٍ
ولا أذل لسمسار وخوّان
ولستُ أَقبل صمتا سوف ينقذني
من بطش منتقم، أو ظلم سجّان
لقد خلقت لأعليها مدوية
براءتي في طواغيت وطغيانِ.[3]

[1] أحمد المرزوقي: تزمماارت الزنزانة رقم 10، ص63.
[2] فيكتور هيجو: مذكرات محكوم عليه بالإعدام، تر: لطفي سلطان، دار الهلال، القاهرة، ط1، 1960م، ص105.
[3] أيمن العتوم :نبوءات الجائعين، ص37.

على نبرات هذا الشعر يتضح أن صاحبه مهما بلغ به البطش وظلم السجان فهذا لا يمنعه من إبراز صرخته المدوية، والنار التي بجوفه التي أيقظت شياطين نفسه، فهو لا يقبل بالّذل والمهانة.

ممّا جاء في النماذج الروائية المعبرة عن التحدي والصمود، ما كتبه رأفت خليل حمدونة في رواية يقول: «اسنغل المحققون جرح رفيق فاستخدموه في التحقيق كانوا يضغطون على الجرح ويلمونه بأداة حادة ليعترف،ولكن رفيق كان صامدا متحديا»[1]، من هنا يتضح أنّ مهما عاش وتعرض الأديب والشاعر للقهر والظلم، غلاّ أن التحدي الذي يصنعه بداخله يجعله يستمر في الصمود، فإذا كان الجلاّد ملحا في فرض سلطته، فكبرياء السّجين لا يسمح له بذلك.

« هناك تجرب الحساس الحقيقي بالضرب، بألم الضرب... لا مجلرّد الألم الموضعي للضربة...إنّما بألم لإهانة، حين أن كل ضربة توجه إلى جزء من جسدك توجه معها ضربة أخرى إلى كيانك كلّه إلى إحساسك وكرامتك...ضربة ألمها مبرح لأنّها تصب نفسك من الداخل»[2]

**ج- التغني بالوطن والحرية وذكر الاغتراب والشوق**

حبّ الوطن والإيمان بالحّرية من أكبر الغرائز الموجودة لدى الإنسان، لكن ثباثها وحقيقتها باتت واضحة لدى الأديب والشاعر السّجين الذي ذاق مرارة النفي والاغتراب الذي هو « حالة إنسانية ونفسية تنتاب الفرد البشري، فتسيطر عليه لتجعله غريبيا وعزولا عن واقعه الاجتماعي ممذا يؤذي ذلك إلى عجزه عن الانسجام والتلاؤم مع المجتمع من حوله»[3] غته الصذراع الذي يهدف إلى الخلاص من الظلم والاستغلال، والقهر والعبثية التي يعيشها بالدرجة الأولى السّجين مع أفراد مجتمع السّجن.

إنّ ما يعيشه الأسير المعتقل في السّجون قد حمله لوعة حبّ الوطن وفيمة العّرية، وهيذج أشواقه للأهل والأحباب، وأحسسه بالتشتت والضياع، فالهمجينة والقوة التي سلطت على السّجين جعلته يؤمن بمبدأ أنّ ماأخدته بالقوة لايسترد إلاّ بالقوة، حيث" نجده جعل من الواقع الحقيقي تجربة صادقة جسدت في كتابات، كانت معتبرة عن أصعب المراحا الحياتية التي مر بها، ومن الملاحظ في المنجز الأدبي أنّ كتابات السّجين والتجربة الاعتقالية قد تناولت عدة قضايا، والتي تجلت في حبّ الوطن، والحرية وذكر الشوق والاغتراب، نجد أن هناك

[1] رأفت خليل حمدونة: الشتات. الحب المقاومة، السجن والحرية، مؤسسة مهجة القدس، غزة- فلسطين، ط2، 1436هـ/2015م، ص59.

[2] ممدوح عدوان: حيونة إنسان، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، دمشق- سوريا، ط2، د.س، ص69.

[3] مأمون عبد الوهاب، تحريشي عبد الحفيظ، ثالوث الحب، الاغتراب والسجن في الرواية الحوارية: رباعية الدم والنار لعبد الملك مرتاض، مجلة لغة- الكلام، مخبر اللغة والتواصل، جامعة غليزان- الجزائر، العدد:02، مج: 02،2021/03/07م، ص 359.

العديد من الكتابات والشعراء الذين أخضعوا هذا اللون من الأدب في كتاباتهم مبررين حب الوطن وشوقهم وكم أنّ للحرية بابا.

يتبين حبّ الوطن لدى الشعراء من خلال أشعارهم، التي لطالما دعت إلى التمسك بالأرض ورفض التهجير، والنفي، والتي نجدها في قصائد محمود درويش وكذلك معين بسيسو وتوفيق زياد وغيرهم حمّلهم ذلك الحبّ دخول السّجن:

يقول محمود درويش في ذلك:

لو يذكر الزيتون غارسه

لصار الزيت دمعا

ستظل في الزيتون خضرته

وحول الأرض درعا

إنّا نحب الورد

لكنّا نحب القمح أكثر[1].

ويأتي أيضا معين بسيسو متحدثا عن تمسكه بأرضه، متأملا متحديا كل العنف الذي يعيشه في السّجن، فهو يستبشر بالنصر القريب يقول:

أنا الآن أشعر أنّي قويّ

وأنّي سأهزم...زنزانتي

...

نعم لن نموت. نعم سوف نحيا

ولو أكل القيد من عظامنا

ولو أشعلوا النار في جسمنا

نعم لن نموت، ولكنّنا

سنقتلع الموت من أرضنا[2]

[1] إيمان مصاورة: أدب السجون في فلسطين( دراسة توثيقية)، ص95.

[2] معين بسيسو: دفاتر فلسطينية، دار الفرابي، بيروت، ط2، 1978م، ص 72.

يقول أيضا في قصيدة أخرى مبرزا قوة الشعب الفلسطيني الذي يتحدى العداء الصهيوني رغم المذلة والمهانة، إنه يجعل من صبره قوة لبيان انتمائه لأرضه الطاهرة.

فلسطين التي وحدت الشعب، وجعلتهم عصبة مؤمنة بالتضحية من أجل الوطن.

سأقاوم...

إلى الأبد خارطة الوطن

ما زلت في الجدار صفحة بيضاء.

ولم تدب أصابع الكفين بعد

...

قد أصبحت أسلاكنا عروقنا

إلى الابد خارطة الوطن[1]

إنّ ما تعالجه الرواية عن حب الوطن يثبت ما جاء في قول ابن عبد البر في (بهجة المجالس)، إذ كنت في غير بلدك، فلا تنس نصيبك من الذل، وهذه هي الحقيقة التي جعلت السّجين في زنزانته يعيش التشتت والضياع، الذي أيقضه على الحنين والشوق إلى ذكرياته التي أصبحت ترى في خيالاته.

لقد عاش السّجين تمزقا عاطفيا في أعماقه، ما أدخل عليه الحزن والكآبة، وهذا طبعا ما خلفه المكان المغلق، الذي فتح الذاكرة على الأشواق وهذا ما قاله أيمن العتوم بلبه الذي انفطر وداب شوقا ولوعة لحب الاهل خصوصا الوالدين:« بعثوا بي إلى الطبيب في إحدى الليالي... لم أدر لماذا يفعلون ذلك؟ لا أشكو من شيء...إذا سلمت من رماح الذكرى، ومن سكاكين الشوق فانا بألف خير...ولا طبيب يدعي أنه يستطيع معالجتي منهما !!»[2].

[1] إيمان مصاروة: أدب السجون في فلسطين(دراسة توثيقية)، ص82.

[2] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2013، ص61.

ويقول في تعبير آخر معبرا عن لهفته للقاء والده اللهفة لنظرة الاولى بعد دخوله السّجن. «أبي...يااااه...ها انت يا أبي...غيمة ماطرة منعشة في فصل صيفي لاهب...!! ها وجهك بكامل أفلاكه السبعة، شموسا لا تغيب...ألقا لا ينطفئ...أكنت غير ما أعرفك في ذلك الصباح...»[1].

أما عن أمه فقد داب شوقا لها.

كما نجد ان هناك أعمال روائية عبرت عنن حب الوطن وهذا ما يتضح في رواية "ياصاحبي السّجن" لأيمن العتوم، إذ يقول «لن تضيق أحلامي بوطني، مهما فعل من تسوده وهو من براء ولن تضيق بترابه الغالي، فكل ذرة من تراب درجت عليها أقدام الصحابة ...لن أضيق بوطني»[2]

ولقد اتضح أن حب الوطن فطرة شب وشاب عليها الإنسان وهذا مانجده رأفت حمدون في رواية له يقول فيها:« كان نصر يذرف الدمع كلما نظر لخارطة الوطن، ويحمل...الناس بالحرية والسيادة والاستقلالية، يعشق القدس التي ولد بها فيتذكر لحظات الطفولة وقبة الصصخرة وأسوار القدسالشامخة الصامدة بنفس الكبرياء الأسطوري على مر التاريخ»[3].

**المطلب الثاني: أهدافه**

لم تكن هذه الأوراق التي كتبت في وعن السّجن تاريخا لمرحلة فقط، ولكنها بالضرورة صورة للظروف الصعبة التي مر بها الأديب السّجين، لقد سقطت على مهل في أفئدة الأوفياء من القراء، فشكلت لحظات من يوميات الجحيم، بهذا يمكن القول أن أدب السّجون لم يكن أدبا فحسب، بل كان ذا أهداف يمكن وضعها وتحديدها في ثلاث أهداف وهي: تربوية، اجتماعية، توثيقية.

**1- أهداف تربوية**

يكمن الدور التربوي الذي يمنحه كاتب أدب السّجون، من خلال ما يقدمه معن الخروقات السلطوية فيما يتعلق بحياة الفرد في مجتمعه إذ "يتعلم المجتمع من خلال هذه الكتابات ... وضع الانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان، ... [وما] يضر بالحقوق الأساسية للفرد"[4]، فأدب السّجون يمكن أن يكون الهدف من وراءه تربية

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص86.

[2] المرجع نفسه، ص335.

[3] رأفت خليل حمدونة: الشتات...الحب المقاومة السجن والحرية، مؤسسة مهجة القدس، غزة-فلسطين، 1436هـ/2015م، ص7.

[4] عبد الرحيم حزل: الكتابة والسجن (حوارات ونصوص)، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب، د.ط، 2008م، ص82.

الجيل، ووضعه على الحقيقة والواقع، ذلك مما يقدمه فيما يخص اختراق المحظورات السياسية والاجتماعية ووضعها على طبق حقيقي واقعي، بلحم ودم موجع.

أدب السّجون قدم الحقائق كشاهد حق ينتظر إدانة الحاكم، ولهذا وجد كدليل للإنصاف المنتظر من الذين مروا بالسّجن كمحطة للموت البطيء، فمع جانب ما أرادوه كتاب محنة السّجون من فضح للسلطة والحكم، أرادوا اظهار الحق، ونشر الوعي والدعوة للصمود، والتحريض السياسي على أفعال السلطة الظالمة. يقول عبد الرحمان منيف معبرا عن فظاعة السّجون " **لِيَحْتَفِظْ دمي بنكهة الظل الذي لا يستطيع السماح بالنسيان**" فعدم السماح لانتهاك آدمية الإنسان يجعلك شخصا ذا قيمة، وليس من قوم تبع لك رأيك، ولك حريتك، هكذا نجد أن تجربة السّجن عند الأديب ما هي إلا تقديم مختصر لطريق مليء بالأشواك، على الإنسان العربي أن يخرج منها إلى آفاق التنوير الإنساني، حتى لا يغرق في جب سحيق أودع له. يقول سمر روحي الفيصل: « هناك صورا واضحة لاقتران النضال الوطني التحرري، بالوعي السياسي الهادف إلى الإصلاح» [1].

هكذا كان الهدف من أدب السّجون التربية والإصلاح ذلك من خلال « التوجه إلى بناء ما هو إنساني».[2]

## 2- الأهداف الاجتماعية

إذا كان الدور التربوي الذي منحه أدب السّجون هو الإصلاح، والتنوير، فإن هدفه الاجتماعي برز فيما قدمه للمجتمع من حريات، حيث « يخلخل المجتمع ككل بحيث يترك وعيا دفينا، وقناعة عميقة عند الناس بأن تتصرف ليس كما ينبغي، أي باعتبارها الضامن للحريات»[3] بمعنى أن الوعي حين تترك قناعة في ذات الشخص أن لك حرية التصرف، وليس كما يراد منك على حسب هواهم. إذ يمكن تشكيل الصورة الحقيقية لمعنى الحرية « ففلسفة الحرية في السّجنيات أكثر صفاء وعمقا من كل الأعمال الأخرى التي عالجت فلسفة الحرية في الحرية؛ فالسّجنيات تغوص في أعماق النفس البشرية إلى أبعاد غائرة»[4]، وهنا لابد أن نشير إلى أن الهدف الاجتماعي لأدب السّجون لم يكن فقط في ابراز الحريات، بل إن للمثقف دورا مؤثرا لا يغيب عن الحياتين السياسية والاجتماعية، والأهم من ذلك القيمة الإنسانية للإنسان، وعرض ما يقع له من ذل ومهانة، وظلم، إذ أصبح

[1] سمر روحي الفيصل: السجن السياسي في الرواية العربية دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، بيروت-لبنان، د ط، 1983، ص23.

[2] عبد الرحيم حزل: الكتابة والسجن حوارات ونصوص، ص81.

[3] المرجع نفسه، ص82.

[4] محفوظ ولد خيري: إبداعات الحرية في باحات السجون، 2015/12/16م
, 10h:29min, 15/03/2022. www.islamweb.net

للمثقف الذي مارس حياته بعيدا عمن حوله، يتخذ قلمه هو الجماعة التي لها قول وكلام لابد أن يسمع فإذا «كانت التحديدات تنطبق على الغالبية فإن المثقف يتميز منهم جميعا بكونه لا يتخذ أي إطار، إنما يمارس فرديته ويحولها إلى رأي يتميز ويعرف به، بذلك يتحول إلى متكلم وصاحب مقالة»[1] يتضح من خلال هذا أن الدور الذي لعبه أدب السّجن هو تعرية الواقع، وكشف ما يعانيه المجتمع خصوصا أنه دوّن بعين باصرة، وعقول مثقفة تستبشر إلى التغيير، وفضح الفساد حيث« اضطر الأديب من خلال بيت الرواية إلى إعادة التنظيم لتستوعب أزمة الواقع الاجتماعي الخانقة وذلك بشق عصا الطاعة على التقاليد»[2].

أدب السّجون دون من طرف أشخاص وأدباء مثقفين، رأوا بأن «وظيفة الكتابة في المجتمع لا تعني استيلاب المعنى، بقدر ما تعني الموضوعية في تحديد العلاقة الاجتماعية والتأثير عليها ».[3]

إذن فالكتابات السّجنية كانت بقصدية من مبدعيها، هذا لأجل توضيح وإبراز العلاقة بين السلطة والمجتمع والتأثير في هذا الأخير من أجل التغيير وإبراز قوته كفرد له حقوق وواجبات.

يقول عبد الرحمان منيف: « لقد تصديت لظاهرة السّجن لاعتقادي أنها أبرز وأهم الظواهر المباشرة التي تدل على وجود القمع والتي تدل على اختلاف العلاقة، لقد زاد القمع واتسع لدرجة لا تصدق أصبح كل إنسان سجينا أو مرشحا للسجن »[4].

### 3- الأهداف التوثيقية

عدا الدور الذي قدمه أدب السّجون فيما يخص الجانب التربوي، والاجتماعي، هناك دور آخر ألا وهو التوثيق مادام أنه يحدد العلاقة الاجتماعية ويؤثر ويتأثر بها، وذلك مما يوفره من «وثائق للتوثيق بما جرى في حقبة معينة...»[5] فلقد تميزت الأعمال الأدبية التي خاضت في السّجون، بجانبها التوثيقي، الذي يعد جزءا مميزا تطرق له السّجين الأديب، لنقل الأخبار إلى فئة معينة من الأشخاص تعمد ... وضعها كما هي عبر تقنية الكولاج، متعمدا ذلك لإبراز قيمة الوثيقة، ومصداقية السرد، وجدية الموقف[6] فما قدمه أدب السّجون، كان بمثابة شهادات شهادات حية لتاريخ مرير يقول في ذلك فتحي عبد الفتاح: « فلقد كنت ببساطة أعرف أنني أعيد تقديم تاريخ

---

[1] ينظر: محمد عابد الجابري: المثقفون في الحضارة العربية محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط2، 2000م، ص37.

[2] محمد التومي: الرواية السجنية في الجزائر العشرية السوداء نموذجا.

[3] ينظر: فيصل دراج: الواقع والمثال مساهمة في علاقات الأدب والسياسة، دار الفكر الجديد، بيروت-لبنان، ط1، 1989م، ص293.

[4] عبد الرحمان منيف: بين الثقافة والسياسة، ص170.

[5] عبد الرحيم حزل: الكتابة والسجن، ص82.

[6] محمد التومي: أدب السجون في تونس ما بعد الثورة بين محنة الكتابة وكتابة المحنة، دار كلمة للنشر والتوزيع، تونس، ط2، 2020م، ص91.

حدث بالفعل ورواية تمت ففصولها فهي إعادة إنتاج لواقع عشته وعايشته وتفاعلت معه ولم يكن لي دور في صياغة الأحداث أو تحريك الشخصيات أو حتى إعادة صياغة الواقع وتلوينه سواء تجميلا أم تشويها »[1]، كما أنه توجه في غلافه الخارجي لكتابه (ثنائية السّجن والغربة) لقول: أن الإبداعات الروائية تقدم التاريخ الحقيقي للمجتمع، وللمرحلة التي تتناولها في شكل صراعات وعلاقات اجتماعية وإنسانية، إذ يمكن للباحثين إيجاد ما يطلبونه، في دراستهم للتاريخ حيث « إن هذه الأوراق وأمثالها تمثل وثائق لمرحلة يمكن أن يجد فيها الباحثون كثيرا ما يجب عليهم دراسته، والتنقيب عنه من تاريخ »[2]. بهذا لا يمكن فصل الرواية السّجنية عن التاريخ، كما لا يمكن فصلها عن الواقع، نظرا للعلاقة القائمة بينهما يقول ميشال فانوستيز [Mechelle Fanaustice]: « يمكن أن نعتبر الرواية التاريخية المحل الأفضل الذي يحوي جدلية الواقع والممكن أنسب مجال للتحقق ... وإن ممكن الرواية مهدد على الدوام بالذوبان في واقع ضروب خطاب المعرفة بل له زيادة مصداقيتها وعلى هذا النحو فإن هذا الجنس ممزق بين مصادرتين فإما أن يثبت أنه قصة متخيلة وإما أن ينتفي على نحو ما حتى ينكتب في ظل الواقع أي في ظل النماذج القائمة »[3]، ويعني ذلك أن الرواية التاريخية أفضل جنس أدبي يعنى بجدلية الواقع، ومهددة من جانب الخطاب المعرفي كونها منحصرة بين الواقع والخيال، وهذا ما وقعت فيه الرواية السّجنية، إذ جعلت من الواقع موضوعا لها من خلال التأريخ لتلك المرحلة.

[1] فتحي عبد الفتاح: ثنائية السجن والغربة، دار الشروق، القاهرة–مصر، ط1، 1419هـ / 1998م، ص7.

[2] جبار عبود آلمهودر: القضبان لا تضع سجنا، دار الكتب والوثائق، بغداد، د.ط، 2017م، ص10.

[3] محمد القاضي: الرواية والتاريخ: دراسة في تخييل المرجعي، ص54، نقلا عن: محمد التومي: أدب السجون في تونس ما بعد الثورة بين محنة الكتابة وكتابة المحنة، ص165.

# الفصل الثاني

# جدليّة السّجّان والسّجين وتبعاتها

# في رواية "يا صاحبي السّجن"

# لـ أيمن العتوم

## المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وروايته

### المطلب الأول: التعريف بالمؤلف

هو الشاعر والروائي أيمن علي حسين العتوم، ولد في 2 مارس من عام 1972م في مدينة سوف بمحافظة جرش في المملكة الأردنية الهاشمية أكمل دراسته في إمارة عجمان بدولة الإمارات العربية المتحدة، وبعدها أكمل تعليمه الجامعي في الأردن في جامعة العلوم والتكنلوجيا وحصل على شهادة البكالوريا منها في الهندسة المدنية عام 1997، حب اللغة العربية الذي نشأ عليه أيمن العتوم وترعرع في كنف والده محب للغة وأهلها ومعلما لها في الجامعة الأردنية دفعه لدراسة بكالوريوس اللغة العربية في جامعة اليرموك وحصوله على الشهادة الجامعية الثانية عام 1999م، واستمر حبه وشغفه في مجال اللغة حتى إنّه درجة الماجستير في النحو العربي من الجامعة الأردنية عام 2004، وتابع مسيرته العلمية وحصل على درجة الدكتوراه من نفس التخصص في الجامعة الأردنية كذلك عام 2007، منذ صغره كان يلقي الشعر كثيرا حتى إنّه في أمسية شعرية عام 1996م ألقى قصيدة من قصائده هجا فيها النظام وعلى أثرها سجن قرابة العام كمعتقل سياسي، وأثناء فترة دراسته في الثلاث جامعات كان ناشطا أدبيا، وقام بتأسيس العديد من اللجان والأندية التي تعنى بالكتب كان معتادا على ارتياد الأمسيات الشعرية، والمشاركة فيها على الصعيد المحلي والعربي.

عمل العتوم مهندسا تنفيذيا بشهادته في الهندسة المدنية في مواقع إنشائية مختلفة في عامي 1997م/1998م وعمل كذلك مدرسا للغة العربية في العديد من المدارس الأردنية.[1]

### أعماله

#### 1/ الدواوين الشعرية

- ديوان نبوءات الجائعين: 2012.
- ديوان قلبي عليك يا حبيبتي: 2013.
- ديوان خذني إلى المسجد الأقصى: 2013.
- ديوان الزنابق: 2015.
- ديوان طيور القدس: 2016.

[1] موقع سطور: نبذة عن أيمن العتوم: http.www.solor.com//، 2022/06/27، 23:01.

**2/ الروايات**

- يا وجه ميسون: 1999.
- يا صاحبي السّجن: 2012.
- يسمعون حسيسها: 2012.
- ذائقة الموت: 2013.
- حديث الجنود 2014.
- نفر من الجن: 2014.
- كلمة الله: 2016.
- إسمه أحمد: 2017.

**3/ المسرحيات**

- مسرحية المشردون: 1989.
- مسرحية مملكة الشعر: 2002.

## المطلب الثاني: ملخص رواية

كثيرا ما كان عالم السّجن جزءا كبيرا من الحياة الدامية بمنظرها المظلم وزمنها الذي تمشي فيه خمسين ألف سنة على الأقدام ولا تصل. نقول (يا صاحبي السّجن) رواية أردنية لكاتبها "أيمن العتوم" يسرد فيها المائة يوم التي مكثها بين القضبان الحديدية، لم يكن السّجن فضاءً مخيّراً منه ليعيش به إنّما أفكاره هي التي أفضت به خوض تجربة قاسية كان حكم السلطة فيها عنيفا. إذ لم تترك في النفس إلا العذاب، حياة بطيئة، شوق متجدد، معاملة لا يتحدث عنها.

رواية أو نقول سيرة ذاتية، تدور أحداثها عن مرحلة حياتية لكاتبها عام 1996-1997. والسبب كما أخبر عنه العتوم بين دفتي مؤلفه «إطالة اللسان على الملك، الذم والتحقير، وتمزيق الوحدة الوطنية، والتحريض على الفتنة»[1]

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السحن، ص 107.

أول صدور لها ببيروت عام 2012. عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر. سطرت في 344 صفحة، كما تضمن عتبات نصية من الفرآن الكريم، بالإضافة إلى اللغة العامية الأردنية أثارت الرواية حال نزولها جدل، «حيث أنها وجهت بالمنع من قبل دائرة المطبوعات والنشر الأردنية نظر لمحتوى الرواية، وشاع صيتها في الوسط السياسي والثقافي الأردني وبدأت مواقع التواصل الإجتماعي نتحدث عن منبع الرواية من الدخول إلى الأردن»[1].

من بداية الرواية والكاتب يتحدث بصيغة المتكلم، وعلى صفحاتها الأولى أفراد حديث بينه وبين وطنه كأنه بهذا يمدنا بفكرته التي جعلته يخط هذه الرواية. كانت بداية الحدث بسبب ندوة شعرية القاها العتوم في إحدى الأمسيات بقلعة عجلون تكلمت عن السلطة والمجتمع، وهذا ما أطاح به وجره إلى السّجن ليقضي فيه فترة من الزمن دامت ثمانية أشهر كرأفة به من دولته، لقد كانت هذه الفترة بين سجن المخابرات والتي قضى فيها فترة التحقيق دون العلم ما التهمة التي ادخلته لهذا المكان المظلم السوداوي، وما ذنبه ليأتيه زوار الليل ويلقوا القبض عليه.

قد كان الكاتب على مقربة من تخرجه إذ لم يبق إلاّ أربعة أشهر ويصير فعلا باش مهندس كما كان يحلم، لم يفده تخصصه في هذه الحالة إلاّ في رسم وتفصيل ما يحدث معه داخل تلك البيئة، إذ رسم لقطة لقطة، ولحظة لحظة كل ما مرّ به من لحظة اعتقاله وما فعلوه بأوراقه وغرفته، إلى وقت دخوله السّجن ورصد حركاته وسكناته وشخوصه، وإنها الوحدة علمته إنّ الظلمة موحشة، والانفراد قاتل، والمجتمع خطير، والأفعال غير متوقعة فعلا، والشخصيات جديدة لا تجدها كما في الخارج.

انتقل بنا العتوم عبر سجون ثلاث كما قلت سابقا إنّ المحطة الأولى كانت بقسم المخابرات، أما الثانية فسجن الجويدة الأردني هنا عرّفنا باسمه، وعرّفنا على شخوص هذا المجتمع من سجناء الجرائم، لسجناء السياسة إلى المهاجع والغرف التي انتقل لها، إذ زادت الغرفة أو الزنزانة رقم 67محنة فوق محنته فهي تذكره بأسوء الأزمات، تغيرت الأرقام والقدر لم يتغير، لقد أصبح رقم وليس بشر هذه طبيعة التعامل داخل هذا المجتمع، الذي أفرده المسؤولين هنا، إذ لم يبق توصلا إلاّ مع شاركوك المحنة بهم تعود على الحياة الجديدة وتعايش مع ظروفها، وهنا أقام علاقات مع من يوافقه دينيا وثقافيا( عكرمة، وعلي وغيرهم).

[1] محمد التومي: أدب في تونس ما بعد الثورة بين منحة الكتابة وكتابة المحنة، صر 33.

بعدما كانت البداية انعزال وتفرس الوجوه ومحاولته معرفتها إنّها أول خطوة...وبعدها شخصها بقوله كنا كأصحاب الكهف منها أتت تسع آيات لا أحد عشر كوكبا. وهذا طبعا ما ولدته العلاقة بينه وبين من سجنوا معه. هذا منحه إنّ يكون مصرّا على موقفه غير آبه، حتى في التحقيق لم يخفي ما تجرأ على قوله يقول: ما أسخف الشعراء لوهم تابوا لم تخفه هيبة المحكمة ولا القاضي الذي عبر عن قوة شعره آمن أيمن بشعره وموقفه، لكنه لم يكن يعلم إنّ للفكرة سجن وعذاب، ومع ذلك فقد سطر روايته بلمحات شعره كما عبّر عن شوقه لأهله بالأخص أمّة إضافة لوصفه المشاهد بالسّجن.

استغرب الكاتب من وجود كتب وتفاسير إنّه تعذيب صامت قاهر ومحير في فترة البداية، حتى إنّه لم يعرف تهمته إلى حين إن تقاله لسجن سواقة والذي كان فيه نظام جديد، إذ اقام في البداية مع سجناء الجرائم فزاد من انكفائه على ذاته، وحاول معرفة كيف يتخلص من هذا الوضع ليلتحق بأصدقائه، هنا عثر على جاسوس وصار هو أمله في أن يلتقي بأصدقائه أقام أمسيات ووصل الأمر لمدير السّجن، والإعلام الذي بدوره تحدث عن وجوه مع المجرمين فلم يكن من المسؤولين إلاّ الخضوع مخافة حدوث انقلاب ونقله لمهجع به من حوكموا في نفس قضيته.

تغلب العتوم على وضعه بالقراءة والحوار الثقافي خصوصا إنّه التقى بمن هو مثله فشاركه ورسم حياة جديدة معه قرأوا وتحاوروا مارسوا الرياضة، أقاموا الصلاة والصيام معا. تغلّبوا على الشهوات، شرب العتوم من حياة السجون وتعرف على قضايا مهمة من بينها "ألغام عجلون" "الأفغان الأردنيين" " جماعة التوحيد" أو بيعة الإمامة" جبهة التحرير" انتفاضة الخبز وهذه الأخيرة دفعته لكتابة قصيدته" نبوءات الجائعين"، وهكذا كانت تجربته مستقاة من عدة منابع رشفتها الذاكرة وصنعتها في روايته التي كتبها بعد خروجه.

## المبحث الثاني: جدلية السّجّان والسّجين وتجلياتها في الرواية

لقد كشفت لنا القراءات في الأدب الاعتقالي، وبالخصوص في الجانب الروائي عن تلك السلوكات والمواقف ، التي نشأت على ضوء معالم واقعية متضمنة لكل ما هو اجتماعي أو ثقافي، في حين إنّها أطرته على شاكلة صورة للسّجين والسّجّان ،كان الزمان والمكان بتفاعلاتهم مقدما لتلك الشخوص بمختلف طبائعها التي أرغمتها إنّ تكون بهذه الحالة وعليه سنقوم بدراسة تجليات السّجّان والسّجين في هذا المتن الروائي كل على حدة،

### المطلب الأول: تجليات السّجّان في الرواية

يمكن إنّ نقول إنّ حضور شخصية السّجّان في المتن الروائي لم يكن أقل من حضور السّجين وعليه تتحدث "رحاب منى شاكر" قائلة : « الكتّاب يصفون السجناء أقل من السّجّانين. ربما يكمل السبب في جدية الأحداث، وإن حصل وتم وصف السّجين، فسيكون ذلك بعد التعذيب في أغلب الأحيان»[1].

ومعنى ذلك إنّ لم يكن العمل تصويرا للسجان بطريقة مباشرة، فإنه يعمد ذلك فهو في مقاربة لتصوير أفعاله الممارسة على السّجين.

أكثر ما يصف ويعطي صورة للسجان، أفعاله الممارسة على السجين، لذا غالبا ما نجد صورة السجان غائبةَ ولا نقصد ذلك أن السارد لا يتحدث عنها، إنما أدق ما يطلعنا عن السجان ممارساته على السجين، يؤكد ذلك ما جاء من سرد عنه في متن الرواية، والتي يقول فيها السارد: « جاءني شرطي، ونظر إلي من فتحة باب الزنزانة، وأخبرني إنّهم سينقلونني إلى زنزانة أخرى، فهيئ أغراضك في غضون خمس دقائق... »[2].

القول يرسم صورة عن السّجّان الذي يمارس مهنته، فشخّصه في إطاره العملي الذي يفرض عليه أن يكون بهذا الشكل.

إذن في هذه الحالة تكون صورة السّجّان متجلية في الفعل الذي يقوم به، حيث أنه أتى بصورة مأمور يأمر السجين.

[1] رحاب منى شاكر: السّجّان في أدب السجون، 1880-2008م، ص 23.

[2] أيمن العتوم : يا صاحبي السجن ، ص 272.

لكن هناك حالات استثنائية وضعت السّجّان موضع السّجين، وهذا ما أفصح عنه صاحب الرواية بقوله: «تلفت حوله بهدوء كجنرال، ثم ما لبث إنّ تابع سيره...مد جسمه وتمطى كما لو كان يستريح من معركة قتل فيها كل رفقاء دربه»[1].

يشخص القول صورة عن السّجّان الذي وُوضع موضع السّجين بحكم ما أفرزته طبيعة العمل والمكان، فأحيانا يسيطر المكان المهني بنظامه على الأفعال السيكولوجية فيجسد صورة عكسية عن شخصية السّجّان التي كثيرا ما نراها داخل السجن وليس كما نراها من الخارج؛ إذ يضيف قائلا: « احتمى بجدار لجأ إليه ...ركن جسده إليه، وألصقه به، وراح يحك كل بوصة من جسده بذلك الجدار ، تساءلت : لما يلجأ إلى مثل هذا الاحتكاك؟ أي متعة يتيحها احتكاك بعيدا عن أعين الرقباء»[2].

يوحي القول بصورة أقرب ما تكون حقيقة عن نظام السجن وتعاملاته مع أمثاله من السّجّان؛ إذ يفرد لنا صورة عن السّجّان الذي يمارس أحقيته بعيدا عن الرقابة وهروبا من الصرامة التي يفرضها النظام الداخلي للسجن.

هذا تمدنا بحالة عن السّجّان الذي يمكن أن نعتبره ضحية أيضا في يد النظام، ما دام لا يستطيع أن يمارس حياته كمسيّر للنظام، ما يدفعنا إلى وضع صورة أخرى للسّجان، والتي قد يكون فيها سجينا أيضا، وذلك راجع للتراتبية المهنية، إذ يؤكد لنا السارد حينما يوضح علاقة السّجّان بالسّجين

« يا بني... لقد زرت كل سجون العالم واطّلعت على أوضاع نزلاءها ،أنتم هنا تتمتعون بأشياء لا يحصلون عليها سواكم إلا في الخيال !! » [3].

النص يعكس موقف السّجّان الذي يحاول إبراز صورته بشكل عكسي عما ألف السّجين رؤيته، إذ يحاول تحسين صورته وصورة المجتمع الذي يأتمر تحت إمرته.

وفي صورة أخرى للسّجّان، يقول السارد: « أدار ظهره وخرج، وخرجت معه جوقته، أغلق الضابط الأخير باب الزنزانة علي، ورمقني بنظرة حادة كادت تخترق عضلة القلب يومها »[4].

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص 275.
[2] المصدر نفسه، ص275، 276.
[3] المصدر نفسه، ص 278.
[4] المصدر نفسه، ص278.

أما هذا القول فيعكس بعدين في صورة واحدة للسجان ، بُعد يتثمل في الفشل المهني وما إنّجر عن التراتبية المهنية داخل السجن، والبعد الثاني يربط بين موقف السّجّان التسلطي وموقف السّجين مسلوب الحرية، وبهذا تكون صورة السّجّان على شاكلتين؛ الأولى كونه عبدا مأمورا انفلتت الأمور من بين يديه ولم يتمكن من التحكم في زمام أمور السجن، والثانية كونه مسؤولا متسلطا يفرد صورته ويتقوى على السّجين حتى بالنظرات التي تخفي الوعيد.

**المطلب الثاني: تجلّيات السّجين في الرواية**

لا تخلو رواية سِجنيّة من تمظهرات لشخوصها، وهذا ما مثلته رواية (يا صاحبي السجن) إذ رسمت صورة عن السّجّان والسّجين في مجتمعهما، إذ يقول في جزئيته مصرحا عن الشخصية وطباعها «في السّجن تستطيع إنّ تتأكد إنّ الناس كتب مقفلة، يمكنك إنّ تقرأها إذا قرعت الحجة بالحجة، لم يكن متاحا لأحدنا خارج السجن فرصة ذهبية للنقاش، وفتح الرؤوس مثل هذه الفرصة»[1].

يوضح القول إنّه لا يمكنك أن تعرف الشخصية ورسم صورة عنها إلا بالحوار والمناقشة، إذ بها تستطيع رسم علاقة بين إنسان وآخر، وهذا ما حملته محنة الاعتقال من حقائق مروعة عن مجتمع السّجن وقانونه فيما مثلته صورة السّجين الذي يتعرض للذل إذ يقول: «راعني الأمر حين هوي بيده على وجه أحد السّجناء ولطمه قائلا ليش أظافرك طويلة يا...ولم يحرك السّجين ساكنا، تلقى الصفعة بمزيد من الخضوع مكان يد الصافع على وجه المصفوع له يكتم غصة في حلقه من أثر المهانة التي لحقت به»[2]يوضح الراوي من خلال هذا القول صورة السّجين الذي يرى نفسه مظلوم من طرف السلطة التي تعتبر نفسها عادلة إلا إنّ أفعالها تعكس وتتجسد ذلك في تجاوزاتها في حق السّجناء فهي تضع السّجين في موقف الذل والإهانة وتجعله يخضع إلى أحكام الدولة المستبدة والظالمة.

لم يتوقف الظلم في هذا الحد بل تجاوز كل ذلك ليضعنا في صورة السّجين الذي اعتقل، ثم نقل للتحقيق، إذ لم يسلم لا من يد رجال التحقيق ولا من يد الشرطي الذي ينقله وهذا ما جسدته صورة السّجين في قول الراوي «جاء شرطي وقيد يدي بغلظة، وهذه المرة قيدهم إلى الخلف، شعرت بإهانة عميقة، إضافة إلى ألم شديد في يدي، واحسست بأن الدم يسل منهما...التواء يدي ضاعف من هذا الشعور المؤلم، دفعني بلا مبالاة

[1] أيمن العتوم : يا صاحبي السجن، ص96.
[2] المصدر نفسه، ص148.

إلى الباب»[1] لقد بين هذا القول صورة عن السّجين الذي يعاني من قساوة الممارسات الفعلية للشرطي، وعليه تظهر صورة السّجين كشخص ذليل لا يمتلك أي قوة في المواجهة إلا التسليم لما يحدث وعليه يمكن إنّ نضع هذه الصورة في «حالة الانكسار الكياني حيث يصل الهوان بالكيان إلى مستوى الشيء الذي يمكن ممارسة أي شيء عليه»[2] ومعنى ذلك هو ما يقدم عليه السّجّان من فعل يكسر جنوح ورغبة السّجين الذي يعاني الظلم في صمت، وهذا ما وضحته صورة السّجين عندما دخل للمحكمة العسكرية إذ يقول في ذلك « دخلت مكبلا ومحاطا بحراسة شديدة... لوهلة–وانا أرى القضاة والمدعين العامين باللباس العسكري والرتب الصفراء على الكتفين، والحمراء على الرقاب– ظننت إنّني قدت انقلابا عسكريا دون إنّ أدري»[3].

يرتبط هذا القول بصورة عن السّجين، والتي تجلت كأنه مجرم خطير إذ رسمته في صورة متمرد خارج عن القانون يبحث عن الفساد، وإثارة الفتنة داخل المجتمع، ما استدعى تدخل السلطة وفرض قانونها لتحوله إلى المحكمة وبعدها السجن، ليضيف لنا صاحب الرواية رسما آخر عن السّجين وما يعانيه تحت وطأة السّجن وسلطانه، إذ يضعنا في صورة له وهو بداخله قائلا: «بدأت الأمراض تنهشنا من كل عضو؛ في منتصف شباط بعد ليلة باردة وكان طعام الغداء فاسدا على ما يبدو، وكثيرا ما يكون مفتقرا إلى كل شيء...وهل للسجين الحق بأن يشكو؟ ! لا وهل له الحق بأن يسأل طبيب السّجن عن الأفاعي التي تتجول داخل معدته؟! لا»[4] لقد ورد في هذا القول صورة عن السّجين والهمجية التي يعاني منها داخل السّجن، إذ أفضت به أن يكون مستسلما للمحنة التي تساوره، فجعلته في بيئة مليئة بالأمراض حيث قيدتهم على الأسرة، منتظرين فراق هذه الحياة، إذ يصرح قائلا عن هذا الوضع:

«كثيرا ما كنت ترانا نغفو كالموتى على أسرتنا متدثرين بالبطانيات الرمادية، نحلم بالدفء، ونتكور على أنفسنا والموت يراقبنا عن كثب يتحين الفرصة للانقضاض علينا ونترك خلفنا كل شيء لنحظى بقطرة ماء واحدة تعيد الدفء إلى أوصالنا المتجمدة...»[5]

[1] أيمن العتوم : يا صاحبي السجن، ص62.
[2] مصطفى حجازي: الانسان المهدور، ص30.
[3] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص64.
[4] المصدر نفسه، ص322.
[5] المصدر نفسه، ص252.

يصف هذا النص حالة السّجين المزرية، والتي جعلته طريح الفراش إذ كل سجين يعيش نفس الحالة، وبهذا يصبح السّجناء كلهم في صورة واحدة مليئة بالقهر والظلم، والعنف والتسلط، إنّها صورة عن السّجين المظلوم والذي يعاني من قساوة النظام السلطوي.

لقد أفردت الرواية الكثير من المواقف التي يكون فيها السّجين مظلوما، إذ لا يسعنا ذكرها كلها، مع ذلك هناك صور أخرى للسّجين قد فرضتها الرواية كونها ارتبطت بجانب فكري ثقافي، وبالتالي شخصت لنا في جزئيات صورا عن السّجين المثقف والذي جعل من الكتاب آلية دفاعية، تؤهله لخوض في الحياة وبخاصة إذا ما حوصرت في مكان مغلق.

وعليه نجد صورة السّجين المثقف تتجلى في قول "العتوم"، «كان (عكرمة) يجعل من الحوار خبزه اليومي، ورياضته المفضلة ثقافته المتنوعة، وقراءته في ادبيات الفكر الماركسي، بالإضافة إلى قراءة كتب سيد قطب جميعها، وكتب مالك بن نبي»[1] الصورة للسجين لم تبق محصورة في إطار غامض، ومسيطر عليه بل خرجت من تلك القوقعة، وتحدث بذلك الحكم الجائر عليها، إنّها تنزع إلى تشكيل وضع جديد قادر على إنّ يستوعب الحياة الجديدة للتعايش معها، وهذا ما يقربه الروائي حينما وصف احد أصدقائه السجناء والذي لم يترك شيئا لا في مجال العلم إلا وطلبه، المهم إنّ يحصل عليه يقول " العتوم" عن هذه الحالة« كان عكرمة أكثرنا تلهفا على طلب الكتب من الخارج، وكانت خطيبته تبعث له الكتب بانتظام، وتزوره بانتظام، واعترف اليوم بأن لها في بعض ثقافتنا فضلا لا ينكر، ذا كأن الكتب التي استطاعت إنّ تدخلها كانت تصل إليَّ بعد (عكرمة)»[2].

هذا القول يمدنا بصورة عن السّجين الذي يمارس جزءا من حياته، ربما الكثير هنا في النفسية التي تغلبت عليه في تلك الظروف، والواقع الحالي الذي صاحبه بعيش تعس، لكن الإنسان الذي يقاوم ويتحدى سيرى من هذه الحالة فرصة لتنمية الوعي من بؤرة أقرب، وبالتالي يجد في فراغه ووقته ما يكفي لتنمية الذاكرة بما هو أصلح لها إنّ تكون يقول الراوي: «بعد إنّ عدت هرعت إلى الكتب... التهمت ما يبقى من البؤساء ووضعت العدالة الاجتماعية في الإسلام) على القائمة... سوف آكل هذا الكتاب في الوجبة القريبة القادمة...»[3]، يعكس النص صورة ذلك السّجين الإنسان المثقف، الذي يرى في الكتاب غنيمة حرب كما صورته بطريقة واعية وذكية تبرز

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص127.
[2] المصدر نفسه، ص 252.
[3] المصدر نفسه، ص265.

الفهم والذهنيات القادرة على رسم طريقها بما تختاره من الاعمال الفكرية الناضجة لتنمية العقل يضيف الروائي قائلا عن صحبة الكتاب: «نمت وبين يدي كتاب ظل يرافقني كأنه حلم في ليلة سرمدية... للكتب مداق الخلود، ونكهة الامل، ولمسة من شجن، ورفة من عشق...نعشق فنقرأ!! نجوع فنقرأ!!يباغتنا الحرمان فنهرب إلى القراءة»[1] يوضح هذا القول فكرة أساسية مفادها إنّ السّجين المثقف (صاحب الرأي)يعد ذاته في الوقت الذي لم تستطع إنّ تغلغل إلى عقله ومن هنا رسمت لنا صورة مختلفة عن السّجين المعروف بضعفه.

**المطلب الثالث: جدلّية العلاقة بين السّجّان والسّجين**

قدمت لنا سرديات السّجن أعمالا ونماذج كثيرة تشخص مشكلات الواقع وإشكالياته المتمخضة عن صراع الإيديولوجيات والمجتمع المدني والسياسي، والفكر والثقافة، وكذا حوار الأنا مع الآخر، نقول هذا سواء أتعلق الأمر بالمجتمع ككل أم بالمجتمع السّجني بصفة خاصة، إنّ مشكلة تأزم العلاقات في الواقع مبنية أساسا على حساسية العلاقات القائمة بين السلطة والفرد أحيانا، إذ يمكن ارجاع هذه الأخيرة –سواء أكانت علاقة الأنا مع الآخر أم مع النفس– إلى «الثقة التي بدونها تختفي الضوابط الاجتماعية الرئيسية على [عن] السلوك اليومي»[2].

يمكن القول إنّ التركيب الاجتماعي في المجتمعات العربية فيه نوع من التسلط والاستبداد على مختلف المستويات الموجودة بالهرم الاجتماعي، خصوصا إذا عدنا للسجن ومستوى أفراده، فإننا سنجده يقوم على تلك العلاقة بين السّجّان والسّجين والتي أخذت تمحورات عدة، يمكن تفصيل الكلام فيها انطلاقا من التأطير للعمل الروائي الذي خصصناه في رواية (يا صاحبي السّجن) لصاحبها أيمن العتوم.

لقد قام صاحب الرواية، أو يمكن إنّ نسميه بطل الرواية في هذا المؤلف بإبراز علاقة السّجّان بالسّجين، وذلك برسمه الفجوة الكبيرة الموجودة بينهما، والتي تختزل جوهر علاقة الحاكم بالمحكوم، اعتمادا على تجسيد تمظهرات جدلية العلاقة بينهما، وفق الارتباطات الكامنة بين السّجين والسّجّان أو العكس، أو بين السّجّان والسّجّان من منطلق التراتبية أو المكانة، وعلى هذا الأساس سنقوم بدراسة العلاقات الثلاث كلّ على حدة، وقبل الخوض في هذا بشكل مفصل، نقف وقفة سريعة على الرؤية التي أوجزها صاحب الرواية، بمختلف العلاقات الموجودة بين شخوص روايته وفيها يصرح:

---

[1] أيمن العتوم : يا صاحبي السجن، ص185.

[2] وليم و.لامبرت، وولاس إ.لامبرت، علم النفس الاجتماعي، تر: سلوى الملا، مرا: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1413هـ/1993م، ص32.

« في السّجن –كما في خارجه– تنشأ العلاقات وتتقاطع المصالح أو تتباين، وتبنى الحيوات. غير إنّ العلائق هنا صعبة على التشكل، بسبب هامش الثقة المشكوك فيه ابتداء. ولكنّها إنّ تشكلت فصعب إنّ تنفصم، لأنها حينئذ تكون قد بنيت على الثقة العمياء أولا، وبعيدا عن المصلحة العارضة ثانيا، وكم من مساجين خرجوا من السّجن، وظلوا يترددون عليه زائرين لمن جمعتهم فيه بهم علاقة من نوع ما!!».[1]

هذا الكلام يفتح لنا آفاقا في معرفة استراتيجية نشأة العلاقات عامة، وفي السّجن خاصة، إذ يظهر من خلال قوله إنّها تبنى على شكلين يمكن اعتبارهما جوهر العلاقات، فهو يرى إنّ العلاقات القائمة في المجتمع السّجني تكون صعبة نوعا ما في تشكلها، ولكنها إنّ بنيت فصعب انفصالها، وهذا راجع إلى الثقة غير المحدودة وغير المرتبطة بالمنفعة، وهذا ما يجعلها دائمة، وليست مخصوصة بفائدة معينة عابرة، هذا الاعتقاد يؤول بنا إلى إنّ أصل العلاقة واستمراريتها هو الثقة وليس المصلحة أما الشكل الآخر للعلاقة فيمكن أن يكون ذا صلة بالمصلحة المستديمة، وبهذا نرجح أنّ هذه العلاقة ليست دائمة بل زائلة بزوال المنفعة.

لقد استظهر الروائي العلاقات في السّجن، من وجهة نظره إذ إنّه ربطها بالظلم وقسوة الحياة يقول: " يمكن أن أقدم–حسب خبرتي البسيطة– بعض التفسيرات كانت العلاقات تقوم على تبادل المنفعة المستديمة، بيع المخدرات أو الحبوب، سيجارة في أوقات (القطعة)، الاستئثار بموقع متميز داخل السّجن، الشعور المتحد بالظلم، كلا الطرفين يشعر بأنه مظلوم، إما لأنه دبر له الأمر وليس له فيه، وإما لقسوة الحياة التي ألجأته إلى هنا، من الأسباب كذلك ما كان خفيا"[2]، بهذا توجه الروائي إلى توضيح بعض العلاقات وشرحها، بحسب تجربته السّجنية، والتي قدمت له تحليلا عن العلاقات والارتباطات بين أفراد السّجن، في حين أنّه أرجع تلك الارتباطات إلى المنفعة وفيما يخص علاقة السّجّان بالسّجين، والسّجين بالسّجين، والسّجّان بالسّجّان، هذا الارتباط المنفعي في العلاقات يرجع إلى أنّ كل فرد في المجتمع السّجني يرى نفسه الطرف المظلوم، فإذا عدنا إلى سجين المخدرات وعلاقته بالسّجّان فإنها مبنية على صورة السّجين الخطير الذي يسعى لفساد المجتمع، هذا في نظر السّجّان، أما إنّ تعلق الأمر بصورة السّجين عند نفسه فإنه يرى من ذاته مظلوما، وذلك بإرجاع الأمر إلى الواقع الذي يعيشه والتهميش المعرّض له، أو لأمر دبر له من شخص نكاية فيه فألجأه إلى هنا.

[1] أيمن العتوم: يا صحبي السجن، ص89.
[2] المصدر نفسه، ص 89، 90.

أما بالعودة لنظرة السّجين للسجان فإنه يراه ظالما متسلطا، ولكن في رؤية السّجّان لنفسه تكون متعلقة بالظلم الناتج عن الظروف الحياتية التي أرضخته لتقبل هذه المهنة (أن يكون سجانا)، وذلك لما توفره من دخل، ومنه فهو مكره على هذه المهنة أو مغلوب على أَمرِه أنّه يرضى بها ويقبل.

### 1- علاقة السّجّان بالسّجين

إن الحديث عن علاقة السّجّان بالسّجين ينصب بدرجة كبيرة على الأساس الذي تبنى عليه هاته العلاقات، لأنها في الأصل مختلفة وهذا لاعتبارات عدة قد تتعلق بالسّجين وخلفيته التي ارتبطت بقضيته، أو بالسّجّان ورتبته المهنية، لكن مع ذلك تبقى الارتباطات بينهما قائمة على مبدأ الشك وعدم الثقة، الظلم والتسلط، التعذيب والقهر.

يتسنى لنا في هذا العمل الروائي معرفة هذه العلاقات، والتي كانت بداية مبنية على أساس الشك وعدم الثقة، وهذا ما وضحه صاحب الرواية في أول لحظة اعتقل فيها، وألقي القبض عليه، علما أنّ صاحب الرواية هو البطل السّجين، ويتكلم عن تجربته داخل السّجن، فلقد قال مثلا: «غير أنّ الضابط والآخرين ساورتهم الشكوك فجأة، وعدوا ذلك محاولة الأب إغلاق الباب في وجوه الضباط من قبيل الرفض أو التهرب، لم يكمل أبي اغلاق الباب حين وضع الضابط يده في الفراغ المتبقي قبيل إنّ ينغلق الباب تماما»[1] يتبين من هذا الكلام إنّ العلاقة المبنية على الشك، محتكمة إلى الخلفية التي جسدت صورة للمتهم في ذهنية السّجّان بأنه متهم ويشكل خطرا، كما يمكن أنّ تكون ذات معنى آخر يتعلق بالسّجّان إنّه مبعوث عمل وعليه القيام به دون أن يفشل.[2]

تتواصل سيرورة الأحداث، وعليها تبنى العلاقات، وفي هذه المرة يكون السّجّان هو المحقق ويمكن أنّ نعتبره الصيغة الكاملة التي تعرفك على السلطة الحاكمة، والصيغة المتمثلة في القمع، التعذيب، الظلم، القهر، سلب الحريات، القتل، العداء والتعصب ضد سجناء الرأي، له من القوة والسيادة ما يجعله يتربع على عرش السّجن آمرا سجانيه منفذين مطالبه سمعا وطاعة.

تغيير المحققين والمكان وساعة التحقيق ليس خطوة عبثية تقوم بها ادارة السّجن، ستكون لا محالة عن قصدية الضغط على السّجين واستفزازه لأخذ الاعتراف منه ; « المكاتب تختلف... والأشخاص يختلفون،

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص15.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص ن.

والاسئلة تتشابه، بعضها ساذج، لدرجة أنّ الشاعر الساكن في أعماقي يضحك، بل يقهقه حين يسمعها»[1] ومن هذا المنطق يتراءى لك شكليا وظاهريا أنّ العلاقة بينهما مبنية على الحوار، وذات المحقق فيها نوع من الانسانية، لكن تبقى هذه الحقيقة مجهولة لأن الأحق في ثبات هذه العلاقة متأسس على العنف والتهديد والتوعد ويظهر ذلك فيما يلي:« يا أيمن... يابش مهندس...(قالها بكثير من الود) شو بدك بوجع الراس. هسه مش أحسن لو كنت في بيتك، وبتكمل دراستك؟! قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا. ما اختلفناش يا رجل. هو إنت بتفكر احنا يعني كفرة ... بس كمان في الدين لازم توخذ بالأسباب...إنت واحد سوفاني راسك مسكَّر».[2]

«يبدو من هذا الحوار إنّ العلاقة فيها نوع من المكر والخديعة، إذ إنّها منذ الأول مبنية على العنف الذي ينزع المطلوب، هذا باعتباره الملجأ الأخير للسلطة في مواجهة المتمردين، أي الذين يرفضون الخضوع للسيطرة التي توافق الأكثرية»[3]، والذي يثبت ذلك عند اعتراف السّجين بلسانه متحدثا عند سؤاله «هل تعترف بأن هذا الشعر الذي أمامي لك. ما تبت عن شعري ولا استغفرته ما أسخف الشعراء لو هم تابوا»[4].

هذا ما يعطي علاقة قمع الرأي، في حالة ما اذا تقبل السّجين فعلته وتراها السلطة غير متوافقة معها فإنه سيخلق نوعا من التوتر يجمع بين السلطة والعنف في حين أنّهما يتعارضان « فحين يحكم أحدهما حكما مطلقا يكون الآخر غائبا والعنف يظهر حين تكون السلطة مهددة، لكنه إن ترك على سجيته سينتهي الأمر باختفاء السلطة»[5] هذا ما جعل السلطة تحت هاجس الاندثار، فأيقظ في نفسها استعمال التسلط بخيانة الحقائق المثبتة، ويظهر ذلك في قول: «تابع بصوته الحاد الذي لفت انتباهي أكثر مما فعلته كلماته: وقع على ورقة إنّ هذه الأشعار لا تقصد بها...و...و... ؟!!!» [6].

من هنا يمكن الإشارة إلى أن العلاقة بين السّجّان والسّجين مبنية على الفرض القسري، لخيانة حقيقية، وهذا بغرض وجود منفعة تخص السلطة والسلطان، مما يجعلها محمية من أفعال الفرد، الذي تطاول عليها، وحاول كشف حقيقة المجتمع والنظام، لنشر الوعي والدعوة للتغيير بما يخدم مصلحته لا مصلحة الدولة لأن المثقفين عادة

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص56.
[2] المصدر نفسه، ص57.
[3] ينظر: حنة أرندت: في العنف، تر: ابراهيم العريس، دار الساقي، لبنان-بيروت، ط2، 2015م، ص45.
[4] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص56.
[5] حنة أرندت: في العنف، ص50.
[6] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص47.

مسنودون بنوع «من الوعي الذاتي أو الاجتماعي الخاص، يسمى بالوعي السياسي يتجلى في صورة ايمان وايديولوجية ومدرسة فكرية اجتماعية»[1].

لذلك يخشى النظام – أي نظام حكم– من هذه الطبقة إنّ تكون معارضة، لأنها أكبر خطر يواجهه، لذلك كثيرا ما يلجأ إلى قمعها واضطهادها، وهذا دوما يجعل العلاقة منطبعة بطابع التوتر والعداوة والشك بين النظام والمثقف، أو بين ما سيصبح بعد الاعتقال: السّجّان والسّجين.

اختلفت نظرة ميشال فوكو، في فكرة السجون وولادتها عما هو متعارف عليه في المجتمع بأنظمته، وربما ذلك ما دعاه إلى وضع كتاب بعنوان (المراقبة والمعاقبة: ولادة السّجن)، أول ما يصادفك: ماذا يقصد بذلك؟ ما حاول فوكو الاشارة اليه هو العقوبة بدرجتها، والمراقبة والتضييق هي من صنعت السّجن، لكن هل بالسّجن نوقف الفساد وتتوصل للإصلاح المزعوم؟ هكذا تعتقد الهيئات الحكومية، أما فوكو فيرى إنّه: «لا يمكن للسجن إنّ يتخلى عن صنع الجانحين، فهو يصنع منهم بفضل نمط الحياة التي يؤمنها للمعتقلين: سواء بعزلهم في زنزانات أو بفرض عمل غير مفيد عليهم، لا يملؤون فيه وقتهم وفي الحالين، على كل حال، عدم تفكير بالإنسان في المجتمع، وهذا يعني خلق عيش مختلف للطبيعة غير مفيد وخطر»[2].

بهذا النص نثبت إنّه لا يمكن فرض طريقة عيش على الإنسان فهذا يزيد من عصيانه وتمرده، بذلك لا يصبح السّجن المؤسسة العقابية الهادفة للإصلاح، بل العكس يصبح مؤسسة قادرة على صنع الفساد و"الخارجين عن القانون"، وهذا يعود للممارسة العقابية المفروضة على السّجين، لقد حملت الرواية جزئية توضح علاقة السّجّان بالسّجين على افتراضية فوكو ويتجلى ذلك في القول الآتي: «كان المتهمون ينكمشون على أنفسهم–في تلك اللحظة الفارقة–في شبه دائرة، جلس أحدهم في وسط هذه الدائرة، وأمسك بيده سيجارة حشيش مشتعلة،...أما بقية زملائه فيغطّونه بحيث لا يُرى من قبل الشرطي القريب جدا من القفص، أو من قبل القضاة والمدعي العام، ...من كان يتوقع أنّ تكون الحشيشة موجودة مع السّجناء داخل السّجن،...من أين جاؤوا بالقداحة أو الكبريت...؟!... ربما حصلوا عليها من أحد أفراد الشرطة المرتشين !! »[3].

[1] علي شريعتي: العودة الى الذات، تر: إبراهيم الدسوقي شتا، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1406هـ/1986م، ص154.

[2] ميشال فوكو: المراقبة والمعاقبة (ولادة السجن)، ص265.

[3] أيمن العتوم، يا صاحبي السجن، ص 105، 106..

الواضح أنّ النص يبني علاقة احتيال لأجل المنفعة بين السّجين والسّجّان لم يعد فيها السّجن فضاء لإصلاح الفرد وتطبيق القانون ومراعاة الأعراف المبنية على الأحكام المطلقة، إنّما أصبح فضاء لجلسة تحشيش وممنوعات وتكوين عصابات تحت حماية السّجّان، وفي مكان مخصوص هو أمن الدولة. السّجّان أصبح منتهك للقانون بعد أن تلقى الرشوة، وهذا فيه اشارة للفساد الذي ينخز الدولة بأجهزتها، بذلك أصبح جدل العلاقة بين السّجين والسّجّان في اطارها النموذجي القانوني في تصدع لتنشأ علاقة قوامها الزبونية والخروج عن الأعراف السّجنية والقانونية، وعليه يبدو جليا لنا إنّ «الأهداف في نظام السجون الحالي لا يتعلق بوقف الجريمة واصلاح المجرمين، وانما الهدف هو العكس تماما، فقد أصبحت السجون تجارة كبيرة للغاية... يستثمرون في قطاع السجون ويزدادون ثراء عندما تفشل السجون في اصلاح السّجناء واعادة تأهيلهم»[1] ومنه يمكن القول بأن السّجن قادر على خلق علاقة نفعية بين السّجّان والسّجين في اطار المصلحة المضادة للنظام المزعوم. وبالتالي يصبح السّجن مؤسسة للفساد المتعلق بالعصابات الاجرامية، ويمكن أن يتعدى ذلك، إلى أن يصير فسادا مرتبطا بأصحاب إيديولوجيات* معينة، وهذه الأخيرة قد خصها الروائي بجزئية مرتبطة بسجناء الجماعات الاسلامية اذ يقول: « استطاعت مجموعة (بيعة الإمام) أو (جماعة التوحيد)إنّ تأسر أحد أفراد الأمن...وحين علمت الادارة بالأمر سارعت إلى إغلاق الأشباك المؤدية إلى مهجعهم. وطالبت بإطلاق سراح الشرطي المحتجز، غير أن الجماعة رفضت ذلك... وبدأت المفاوضات» [2]، مشهد يتعلق بصورة نموذجية لعلاقة السّجين المتمرد على السلطة والرافض لجوهرها بما هي بحث عن تعاقد خفي يؤمن لها مشروعية وهمية ضبابية في ظل هذا المكان، ولذلك فإن هذا التعاقد لا يقوم على المواطنة بل على الزبونية بين السّجّان والسّجين (السلطة والرعية).

[1] تيري كوبرز: الجنون في غياهب السجون أزمة الصحة العقلية خلف القضبان ودورنا في مواجهتها، تر: أميرة علي عبد الصادق، مرا: هاني فتحي سليمان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2015م، ص291.

* الايديولوجيا من ناحية شمولية بمثابة منظومة فكرية وعقائدية ذات ارتباط بالسلوك العملي، ولها القابلية على التنسيق بين أعضاء المجتمع على صعيد اتخاذ مواقف عملية معينة في شتى مجالات الحياة...، والجدير بالذكر هنا، أن الدور التنظيمي لها يتبلور في معظم الأحيان ضمن التوجهات الدينية.(محمد رضا خاكي قرامكي: الايديولوجيا في المصطلح والمفهوم وحقول الاستعمال، مرا: محمود حيدر، دار العتبة العباسية المقدسة، عراق ط1، ص 52).

[2] أيمن العتوم، يا صاحبي السجن، ص163.

من جهة أخرى نجد صورة معارض راديكالي*[1]، (يحاول التغيير) صورة الدولة عنده لا تختلف عن صورتها القائمة بما أن جوهرها الأمر والطاعة والولاء، وفي المحصلة رسم المؤلف مشهدا متوترا حضر فيه طرفا العلاقة ولكن شابها التوتر فبدت غير مستقرة ولا متوازنة، أنّها تبحث عن توازن مفقود، السّجّان بقلقه وضعفه وتوتره يبحث عن حل لا يمتلك مفاتيحه، يحضر آمر السّجن متلطفا مخذولا يستعطف أبا مصعب** أميرهم ليمن عليه ويترك الشرطي في حالة، إذ يبقى فعلا مرجوا لم تضمن نهايته، قال الراوي: «قدمت إدارة السّجن الكثير من التنازلات غير أن بيعه الإمام في واد آخر.

ولم يجد مدير السّجن أنذاك من وسيلة سوى أن يرفع الأمر إلى مدير الأمن العام، وهو أمر قد يكلفه الكثير...قام مدير مصلحة السّجون...وعقدوا اجتماعا مع مدير السّجن،...وتوجه...إلى مهجع سجناء (بيعة الامام).ووقف على مقربة من الشبك، وخاطبهم بلغة رقيقة علها تأتي بنتيجة، ولكن محاولاته ذهبت سدى، فعاد خائبا مرة أخرى إلى مكتب الإدارة»[1].

الواضح أن النص يبني علاقة بين السّجّان والسّجين، لم يعد فيها الحاكم قادرا على التحكم في زمام الأمور، وهذا أفضى إلى عجز داخل الجهات الحكومية، مما استدعى استخدام العنف والعدوان، لغرس الخوف والرعب في نفسية سجناء بيعة الإمام يقول الراوي: « هنا حاول أن يخيف أفراد (بيعة الامام) عن طريق شبه استعراض عسكري، إذ وقف في المنتصف وقفة جادة وحوله بعض الضباط... ووراءهم في شكل رهيب ومفزع أفراد لواء الأمن كانوا يقفون على شكل صفوف مستقيمة، وفي أيديهم الهراوات الغليظة، ويغطون وجوههم بالأقنعة السوداء...ويهرون كالذئاب الجائعة، مستعدين لإشارة من طرف اصبع مدير مصلحة السجون، كان المنظر كافيا لإلقاء صخرة من الرعب في قلب الحجر»[2]، بدأ المشهد في شكل صراع تراجيدي مأساوي، الشرطة مدججة بكل الأسلحة والهراوات الغليظة، والشرطي الواحد بمظهره الذي يلبسه السواد الا من عينيه البارزة المتحفزة للفعل تنتظر الإشارة فقط، في مقابل ذلك نجد المساجين في حالة من العزلة الا من الارتداد على موقفها،

[1] أيمن العتوم، يا صاحبي السجن، ص163،164.

[2] المصدر نفسه، ص164.

* الراديكالية Radical: هي الطموح، أي الميل نحو القرارات الحاسمة، وهي اصطلاح سياسي، يستخدم في الاشارة إلى برنامج الأحزاب السياسية، يقصد به الدعوة إلى إصلاح النظام البرلماني أو الدعوة إلى إصلاح شامل يمس جذور مشاكل التي تواجهها الدولة. (وضاح زيتون: معجم المصطلحات السياسية، نبلاء ناشرون وموزعون، الأردن- عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن- عمان، د ط، 2014، ص 192).

** أبو مصعب: أمير جماعة الإمامة أو ما يعرف بجماعة التوحيد في السجن.

وايمانها بالقضية التي دفعتها إلى هنا ويتمثل ذلك في القول: « غير أن هذا الرعب –فيما يبدو– لم يصل إلى قلوب مجموعة (بيعة الامام) التي كانت تستخدم مصدّا شفافا من الإيمان بقضيتهم، وقد أصقبوا على عدم التراجع، كأن أميرهم الذي يأمرهم بالثبات هو ظل الله في الأرض !! »[1].

هذا ما دعا إلى أن يكون آخر خيار من مدير مصلحة السجون في أن يستخدم العنف، والتعسف على السّجناء، بعدما استفزته القرارات التي بقيت متخذة من طرف مساجين الجماعات الاسلامية–المزعومة– يقول في ذلك: «لما سمع اللواء هذه الكلمة الأخيرة، لم يبق في رأسه متسع لأي تعقل، فأشار بأصبعه إلى لواء الأمن، فهجموا على مجموعة (بيعة الامام)... بدأ الضرب، والرفش واللكمات، والصياح من كل جانب...كان يوما عسيرا على هذه المجموعة»[2]، إنّ هذا الصراع بمأساويته قد أفرز لنا العلائق الموجودة بين السّجّان والسّجين في النزاعات القائمة بينهما، إذ إنّ بدايتها حوار ومفاوضات دون جدوى تحولت إلى عصيان للسلطة نهايتها قمع ومحاربة، لقد كانت هذه العلاقة استشرافا لما سيحدث عند خروج هؤلاء السّجناء ومحاولة السلطة، إنّه توعد لحدوث اختلالات مجتمعية في الوطن العربي سببه « نمط الأعمال العدوانية التي تلجأ اليها جماعة من الأفراد لها موقف... مناهض لا تلقى تأييدا أو موافقة الأغلبية من المواطنين أو من نظام الحكم القائم»[3]، والذي يثبت هذا الاختلال ما تواجهه السلطة من عدم مقدرتها على التحكم في الوضع الراهن، ذلك بما تقوم به جماعة الامام التي حولت السّجن إلى ثكنة عسكرية ويظهر ذلك في القول التالي: « كان (أبو مصعب)... اذا مشى أسرع...يمر بجانب الشرطة لا يلقي لهم بالا، بل كانت الشرطة هي التي تهابه، وتحسب له ألف حساب ...فقد كان هو الذي يتولى التدريب العسكري لجماعته في الصباح الباكر، متحديا بذلك كل القوانين والأنظمة المعمول بها في السّجن هنا»[4] هذا ما يدلي بالخطورة المهددة للمجتمع في خضم « تعارض دافعتين لا يمكن ارضائهما في وقت واحد لتساويهما في القوة أو في الحالة النفسية المؤلمة التي تنشأ عن هذا التعارض»[5]،

[1] أيمن العتوم، يا صاحبي السجن، ص ن.

[2] المصدر نفسه، ص165.

[3] عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط،2003، ص154.

[4] المرجع نفسه، ص225، 226.

[5] عبد الحميد محمد شاذلي: الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ط، 1999م، ص84.

من هذا نفهم أن الصراع القائم بين السلطة والجماعات الاسلامية ناتج عن القوة والتعصب الموجود بين الطرفين والذي قوامه :إنّ النظام (الدولة) يؤمن بما يسمى القانون-المتعسف أحيانا- في حين تؤمن كل الجماعات الاسلامية بمبدأ قيام الدولة على أسس دينية، ولهذا فهي تعمل بمبدأ التخوين لكل فكرة يطرحها النظام.

إذا كانت هذه العلاقة مقامة في طابع العنف والعنف المضاد، فإن هناك علاقة أخرى لجأت إلى النشاط السلمي ضد المضايقات المفروضة عليها من طرف السلطة، ويتمظهر ذلك في السياسة التي طبقتها جماعة سجناء الرأي في اتخادها الاضراب عن الطعام داخل السّجن حراكا سلميا للتعبير عن الوضع المعيش داخل الشعوب يقول صاحب الرواية: « بدأت المضايقات تأخذ مناحي متعددة، وبدأنا نشعر باستهدافنا أكثر من سوانا ومن ذي قبل، وصارت إدارة السّجن – على ما يبدوا – تستمتع كسلطة في تهميشنا وإنزال الأذى والضيم بنا...في البداية انحنت السنبلة أملا في إنّ تزرع القنبلة في جوف الثرى...ولكن في النهاية لا بد إنّ تقلب الطاولة على رأس كل من حولها بمن فيهم أنت إذا كنت هناك»[1]، مسرد يتعلق بصورة أقرب ما تكون تجسيدا لعلاقة بين السلطة ورجال السياسة وأصحاب الرأي والمعارضة أورد الكاتب نموذجًا للعلاقة المتوترة بين السلطة وسجناء الرأي، حيث أظهرها بطبيعة دولة ذات أنظمة ديكتاتورية[2*]* ترى الحل القمعي هو الأصح لأصحاب الرأي المعارض لها، وهذا ما سعى صاحب الرواية لإبرازه كأنه ينصف نفسه على دولة تدعى الديمقراطية، وتسعى للتجسيد والتوافق المطلبي بينها وبين أبناء الشعب، تقوم على الحق والقانون-في نظرها- وأي تعارض معها هو خرق واتهام باطل في حق السلطة.

لكن بالتوضيح الذي قدمه الروائي فيما يخص المعاملات السلطوية داخل السّجن يثبت العكس يقول: «منعت الزيارات الخاصة إلى الأبد، جئت إلى هذا السّجن وهي ممنوعة، وغادرته وهي ممنوعة كذلك،... منع الاتصال مع الخارج بتاتا وتحت أي ظرف. كانوا في السابق يسمحون للسجين السياسي بإجراء مكالمة هاتفية مع ذويه مرة واحدة في الأسبوع... ثم منعت الصحف... وأبقى من الصحف اليومية على صحيفة واحدة هي الرأي التي كانت تتبع الدولة...ثم أغلقت الأشباك الفاصلة بين مهجع وآخر لفترات زمنية أطول... فكثفت تواجد الحراس... ثم أغلقت العيادة الطبية في وجوهنا إغلاقا شبه تام»[3]، أبهذا تثبت الدولة أحقيتها؟ أن العتوم يسرد بشكل واقعي باعتباره سجين رأي، قضيته اطالة اللسان المجريات التي تتخذها الدولة على المعارضة بما يعرف

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص249.

[2] المصدر نفسه، ص249.250.

* الديكتاتورية dictorial: هي لفظ مأخوذ من اللاتينية، ويعني النظام السياسي الذي تتركز السلطة فيه بيد شخص أو هيئة واحدة، ويقوم هذا الشخص أو تلك الهيئة بحكم البلاد عن طريق فرض قوانين وإخضاع الشعب لها، ...كانت منصبا قبل أن تصبح بعد ذلك شكلا من أشكال الحكم البغيض (وضاح زيتون: معجم المصطلحات السياسية، ص 175).

التبخيس الوجودي في العلاقات الاظطهادية التي يصاحبها التوتر، وبذلك قصدت السلطة الاذلال والتخويف، بدءا بهذه المجريات كنوع من الاستبداد الذي « يكم الأفواه ويقمع المعارضة إلا إنّه يرتضي من الناس الصمت، وهو لو دمر خصومه، أو سجنهم، إلا أن همه الأول يبقى مركزا على الحفاظ على زمام السلطة».[1]

بهذا نأخذ شكل العلاقة التي تجد انفصالا بين الدولة والفرد، بالإسقاط على الصورة المجسدة لشكل السّجّان المتفرد بآليات ومظاهر الحياة السياسية والتي أعطته الحرية والحق في الممارسات القمعية ضد الفرد الذي يقبع في السياسة ويتكلم عن تجاوزاتها.

ممّا لا شك فيه إنّ الإنسان المثقف والواعي سيستمر بنشر أفكاره حتى وإن تعرض للتضييق وذلك ما وضحته صورة السّجناء المضربين عن الطعام يقول الراوي:« نعم... سنضرب عن الطعام إلى أجل غير مسمى، وحتى تتحقق مطالبنا جميعها دون استثناء، كان على كل مضرب إنّ يتقدم باستدعاء إلى مدير السّجن ليعلمه بعزمه على الدخول في هذا الطقس.

وحين تصل الورقة إلى المدير يستدعي السّجين، ويحاول إنّ يعدله عن رأيه، ويلبس أمامه لباس الواعظ النبيل والناصح الأمين... ولم يتزحزح واحد منا عن نيته، ولم يتأثر بما قاله المدير بتاتا»[2].

بهذا القرار الذي اتخذه السّجناء خلق نوع من القلق السلطوي حاول المدير إيجاد حل له عن طريق الحوار لكن لا جدوى، مما استدعى الأمر إلى ايداع الحبس الانفرادي في الزنازين إذ تعتبر كنوع من التحطيم النفسي للسجين، ومع ذلك يبقى صموده صراعا متفجرا من نفسه اتجاه الآخر الذي تحكم في الحاجات الأساسية الخاصة به «فالمقاومة تحتاج إلى مثل هذه الانهيارات الجسدية/ النفسية وبدرجات غير عادية من الحصانة التي لا تتوفر إلا لذوي الإيمان الراسخ بالعقيدة، التي توفر وجودا متعاليا يحمي القيمة الذاتية من خلال قيمة الانتماء التي لا يمكن إنّ يمسها التعذيب».[3]

إن التحكم بالحاجات الإنسانية التي تضمن الشعور بالحياة في مكان مقيد كمنع الصحف، الاتصال، غلق العيادة، التواصل والتفاعل بين السّجناء، أحدث إنتهاكا للذات لدى الإنسان المقهور لكن ما إنّ وصل الأمر إلى الرأي العام، وتناول الإعلام هذه القضية، فهذا يستدعي تدخل الدولة وإيجاد حل لإثبات نفسها وأنها مسيطرة

[1] مصطفى حجازي: الإنسان المهدور، دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، ص78.

[2] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص254.

[3] ينظر: مصطفى حجازي، الإنسان المهدور( دراسة تحليلية نفسية إجتماعية)، ص135.

على الوضع، مما تطلب الوقوف على الطاولة المستديرة والاتفاق المبرهن إنّ الحكومة حقوقية وقانونية غير متعسفة ويتبين ذلك في القول التالي:« يبدو أن مدير الأمن العام قد قرر بعد هذه المكالمة القوية إنّ يزورنا بنفسه، وينهي هذه المسألة التي تردد صداها أيضا في الإعلام !!... في الواحدة والنصف ظهرا من اليوم نفسه، استدعي كل المضربين عن الطعام إلى غرفة مدير السّجن... كان مدير الأمن العام أكثر سلاسة في الحديث، وبدا أنه يريد إنّهاء هذه القصة ولو تطلب الأمر القفز على كل أوامر مدير السّجن... وطلب منا أن نتحدث عما نريد».[1]

يذهب بنا هذا القول إلى أن العلاقة بين السّجين والسّجّان نفعية مبنية على المصلحة، فالسّجّان لا تهمه صحة أو حال السّجين بقدر ما تهمه مصلحته، لذلك اضطر إلى التنازل والجلوس على طاولة الحوار حتى يناقش مطالب السّجناء، « الأمر الذي يؤدي إلى إحكام سيطرة الوضع القائم»[2] على السّجناء، فلو حدث مكروه لأي سجين سيقوم الإعلام بشن هجوم على إدارة السّجن، وسيتضرر وتصبح قضية عامة قد تطالها يد جمعيات حقوق الإنسان، يمكن أن نشخص هذه العلاقة فيما قاله أحمد مختار البرزة «لكل شاعر موقف من السلطة التي ألقت به في السّجن، وتتضافر في بناء هذا الموقف مؤثرات جمة: منها ما جبل عليه الشاعر من المقومات النفسية والخلقية في مواجهة المحنة، ومنها ما انطوى عليه السلطان من النوازع والقيم التي تحكم قراراته وأحكامه» [3]بهذا نحتكم إنّ سجناء الرأي كان لهم موقف من السلطة، استدعاهم دخول السّجن وحمل الموقف بمؤثراته النفسية والخلقية في مواجهة المحنة من ناحية ومن ناحية أخرى كان للأمر تأثير على أحكام السلطة ما أدى إلى النزوع لهذا الفعل السلطوي قصد الانفراد بالسلطة.

ما توصلنا إليه من تحليل لهذه العلاقات إن الخاصية التي تحتكم إليها التعالقات المجتمعية في تكوينها هي الثقة المشكوك فيها بين الحاكم والمحكوم عليه، على أساس مصلحة السلطة لا الفرد بهذا نجد إنّ علاقة السّجّان بسجين الجماعات الإسلامية أو الرأي علاقة انفصالية ذات طابع تعصبي متسلط، تسعى لنفع ومصلحة الذات السلطوية عن طريق الاستبداد والذي هو« الانفراد بالسلطة والسلطان في أي ميدان من ميادين السلطة والسلطان»[4].

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص277-279.

[2] هشام شرابي: النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1993م، ص60.

[3] أحمد مختار البرزة: الأسر والسجن في شعر العرب" تاريخ ودراسة"، ص523.

[4] عبد الرحمان الكواكبي: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تح وتق: محمد عمارة، دار الشروق، مصر- القاهرة، ط2، 2009م، ص9.

بهذا تصبح الدولة قائمة على نظام انحيازي ليس للشعب دخل فيه. ومع ذلك تبقى هناك روابط أخرى بين السّجّان والسّجين يكون تمظهرها ليس المصلحة ولا الثقة إنّما الواقع بالسلبية التي أحدثها الزمان والمكان قد عبر عن الموقف متحديا له هذا إذا سلمنا برأي «إنّ التعبير عن المواقف مجابهة للواقع، واتخاذ "موقف" إزاءه، لأن المجابهة تقتضي الإفصاح عن رأي، أو قرار، أو سلوك... في إطار وعي خاص باللحظة القائمة»[1]، فوعي الإنسان بذاته وما تؤول إليه، يتطلب منه ردة فعل سواء بقرار أم بسلوك يحقق له مشروعيته في حين نجد إنّ هناك بعض القرارات والسلوكيات تتأتى بأبشع النتائج خصوصا إذا ما عدنا إلى السّجن وما يتعلق بسلوك السّجين مع نفسه وما يتعمد له السّجّان من تعسف بممارساته على المحكوم عليه، حيث عبر العتوم عن هذا المشهد من خلال تشخيصه لحالة السّجين المقهور وهو يمارس العنف على نفسه، ويسيء إلى ذاته يقول:« في ساحة صغير[ة] مستطيلة رأيت ثلاثة من الأحداث[الأشخاص] في الخامسة عشر تقريبا من العمر وقد وقفوا شبه عرايا، يمسكون في أيديهم شفرات حادة، ويقومون بحز رؤوسهم المحلوقة حزا عنيفا،... فيسيل خلف ذلك خيط من الدم سرعان ما يفور ويفيض على بقية الرأس... كانوا يصرخون بأعلى أصواتهم وهم يفعلون ذلك، أما المساجين الآخرون فقد وقفوا ينظرون وبعضهم يصيح مشجعا لهم، وأما الشرطة وأفراد الأمن فقد وقفوا بعيدا يراقبون الوضع عن كثب !!»[2]إنّ هذا الكلام يبرز لنا الحالة النفسية للسجناء التي أودت بهم إلى العنف، أنّها حركة فرضها صراع الكينونة داخل النفس، بغرض إثبات الأنا وتفاعلها مع الآخر إذ تبقى« الوسيلة الأخيرة في يد الإنسان للإفلات من مأزقه ومن خطر الاندثار الداخلي الذي يتضمنه هذا المأزق و... هو السلاح الأخير لإعادة شيء من الاعتبار المفقود إلى الذات»[3]، يمكن أن تكون هذه هي الورقة الأخيرة في يد السّجين، الذي فضل الموت على الحياة مقابل هذا الظلم، إنّه لشيء أبشع مما يتخيله العقل والغريب في ذلك أن يراك الآخر وكأنه يستمتع بذلك كأنها حفلة ويشجعك عليها، بهذا يمكن أن نحتكم إلى أن علاقة السّجّان بالسّجين.

« ظلوا يمارسون هذه الطقوس القاتلة طوال عشر دقائق ... لم يكفوا خلالها عن الصراخ...أصابهم الإعياء... فخروا راكعين على ركبهم ... في هذه اللحظة، وخلال أقل من عشر ثوان هجم عليهم رجال الشرطة من كل صوب، وكلبشوا أيديهم خلف ظهورهم، ثم جاؤوا بدلاء ماء مذابة بالملح، وصاروا يرشونهم بها... اقتادهم

[1] حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي (قراءة موضوعاتية جمالية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2001م، ص94.

[2] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص134.

[3] مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي: المغرب– الدار البيضاء، ط9، 2005م، ص165.

رجال الأمن وهم يشتمونهم، ويركلونهم بأرجلهم إلى شبك الزيارة القريب من مهجع الادارة، وهناك شبحوا على ذلك الشبك، وعلقت أيديهم مرفوعة إلى أعلى ومقيدة إلى الحديد لساعات طويلة... وبعدها نقلوا إلى المستشفى»[1]، يحتمل هذا النص أفكار عدة مرتبطة بكل من السّجين والسّجّان والعلاقة القائمة بينهما، حيث صور لنا العتوم حالة السّجين المنهارة، والذي يرى أن فكرة براءته وخروجه من السّجن احتمال ضئيل، ما صنع قرارة نفسه ممارسات عدوانية، بالفعل ذلك كان أقرب لإكمال عمل السّجّان فهو أصبح ذريعة في يده للإكمال حفلة التعذيب، إنّه سبب في يد السّجّان لأن يخالف القانون داخل السّجن، ما يمكن أن نسميه بصلاحيات السّجّان داخل المؤسسة، لكن السؤال المطروح هل بهذا النظام يمكن أن نسمي السّجن مؤسسة إدماج وإصلاح؟ أظن أن هذه الصورة أثبتت العكس من خلال ما عرضته عن العلاقة القائمة بين السّجّان والسّجين والتي أوضحتها على إنّها عكسية، في ظاهرها إصلاح وتأديب للسجين على فعله، ولكن من الذي أرغمه على ذلك؟ أنّه الهدر الذاتي والإذلال النفسي من ممارسي القانون وهذه هي الجريمة الأكبر، بهذا يمكن أن نقول أن هناك سلطة سياسية قمعية تتولى ذلك، إذ أن هذا الأمر- أحيانا- يستدعي من السّجين أن يخطو خطوة لحماية نفسه ما يُقدمه على أن يكون عونا السلطة وهذا ما أوضحه الروائي الذي أقر بوجود سجين جاسوس داخل المهجع يقول في ذلك: «كنت قد علمت أن الإدارة تعمد إلى وضع جاسوس لها في كل غرفة، وهو أحد السّجناء الذين لم ينظموا إلى مجموعة ما... مهمته نقل أخبار السّجناء، وتلقّط ما ينوون فعله إلى إدارة السّجن، وذلك مقابل ثمن بخس، قد يكون مثل الحصول على رغيف آخر وقت الطعام، أو التمتع بساعة أخرى من النوم في الصباح» [2].

بهذا نقول: إنّ الممارسات القمعية هي من ترغم السّجين في أن يكون ضحية وأداة في يد النظام، لأجل مصلحته، بهذا تصبح العلاقة بين السّجّان والسّجين علاقة نفعية، المحبوس يسعى لمصلحته وكذلك السلطة، وهذه العلاقة تحيلنا إلى طرح سؤال: هل فعلا السلطة تثق في السّجين حتى تتعامل معه؟ من هذا يمكن أن نجيب على أن السلطة لا تثق ثقة عمياء بالسّجين، بل أهدافها الخفية، ومقاصدها التي تحاول الوصول إليها دفعتها لخلق هذا النوع من الإرتباط، ما يمكن أن نسميه المصلحة العارضة لكلا الطرفين، رغم أنها أقدمت على فعل مخالفا للقانون وهو تقديم رشوة للسجين مقابل حصول المنفعة.

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص 134، 135.

[2] المصدر نفسه، ص150.

بخلاف ذلك من الارتباطات التي يمكن إرجاعها بالدرجة الأولى إلى طبيعة المجتمع الجديد(السّجن)، والذي يساهم بدوره في هدم الشخصية وبناءها بما يتوافق مع هذا الوسط، إذ يمكن أن نأخذ على سبيل المثال شخصية السجان الضحية، نرجع أفعاله الإجرامية للحالة النفسية التي يعاني فيها من جور السلطة التي تنظم القوانين وتشرعها وفق ما يخدم حدودا معينة، وبالتالي يقع السّجّان في حالة اضطراب وإحساس بالظلم يؤدي به إلى الهروب من المواجهة مع السلطة الجائرة، فيمارس ظلما معاكسا على المساجين.

«حدث مرة أن شرطيا يبدو إنّه طالت عليه إجازته، ولم يرى أهله منذ فترة، فأراد أن يتسلى، ليروح عن نفسه قليلا كما يظن، توجه نحو أحد السّجناء وجهز نفسه لاتهامه إذا اقتضى الأمر»[1] هذا المقطع يؤول بنا إلى أن الصراع النفسي لدى السّجّان هو ما جعله يُقْدمُ على هذا الفعل، أنه نقص في الوعي وانعدام الهدف خيّره على أن يكون إنسان مجبر، بهذا يصبح السّجّان «لا يفكر غالبا ولا يراجع جدوى أفعاله لذلك هو قادر على تجاوز الحدود الإنسانية دون تأنيب الضمير»[2]، فقراره بأن يستفز السّجين ويشتمه، خلق ردة فعل لم تكن متوقعة، إذ صار السّجّان في موقع الإذلال والمهانة، والسّجين في موقع العزة والرضا، لقد حطم هذا الأخير أعراف السّجن دون النظر في العواقب، قد صنعت في السّجناء ثأر وانتقام للحكومة يقول الراوي: « ما إنّ واجهه الشرطي حتى هوى بيده على وجهه ولطمه، صائحا فيه: – يا خنيث !! ثم أراد إنّ يتبعه بلطمة أخرى، فلم يكن من السّجين إلا أن أمسك يده، وشد عليها بقوة، وصاح بالشرطي: – ليش بتضربني؟! في هذه اللحظة... جمد كل من في الساحة من المساجين... أمّا الشرطي فلم يتوقع أن يرد عليه سجين مهما علا شأنه، فأصيب بالصدمة، وصار ينظر إلى يده التي يمسكها هذا السّجين، وإلى العيون التي تتشفى به، وتحاصره من كل جانب».[3]

بهذا الموقف يتبين أنّ مهما كانت علاقة السّجين بالسّجّان وما يحكمها من ضوابط، فهذا لا يسمح بأن تمارس تلك الصلاحيات في إطار آخر وهو التعدي على الإنسان، سواء أكان حرا أم مقيدا، يقول صاحب الرواية موضحا المشهد « نوى أن يثأر لموقفه المهين، فهوى بيده الحرة ليلطمه، وفي هذه المرة أمسكها السّجين، ولواها بشدة فانحنى الشرطي وهو يتلوى من الألم. وصاح به السّجين بنبرة تحد جارحة... تجمع أفراد الشرطة على الصياح من زوايا المهاجع، وخلّصوا الشرطي من بين يد السّجين، وهجموا عليه، وقاموا بتقييده بالكلبشات...

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص113.

[2] رحاب منى شاكر: السّجّان في أدب السجون، 1980-2008، ص28.

[3] المرجع نفسه، ص113، 114.

واقتيد السّجين وهو موثق اليدين»[1] هذا النص صورة نموذجية عن ردة فعل السّجين على السّجّان ما يبين أن كلا الطرفين يمكن اعتبارهما مضطهد من السلطة المستبدة وخطاباتها الذي لا يراعي غير مصلحته ولا يرى غير مشروعه الاستبدادي أن « المستبد يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم، ويحكمهم بهواه لا بشريعتهم».[2]

بهذا يكون السّجّان سجين، إذ حاول إفراغ غضبه فبدل الانتقام من السلطة انتقم من السّجين الذي يمارس السلطة عليه ومن هذه الرؤية يصح القول: «إنّ السيد المستبد لا ينظر إلى الآخر المقهور كإنسان فعلي، بل إنّه يفقد التعاطف معه والإحساس بمعاناته وآلامه ومخاوفه وحاجاته البيولوجية والنفسية، بل إنّه يزداد قسوة كلما ازداد المقهور خنوعا لإرادته،... ليصبح عنف علاقة التسلط مضافا ومتفاعلا مع قسوة الطبيعة واعتباطها»[3].

وهذا ما صور لنا تلك المشاهد السلطوية الممارسة على السّجين، إذ لم تقتصر تلك الصورة على جانب الفردية بل تعدت لأن تكون جماعية يراها كل سجين، فالسلطة دائما ما تعمد لهذا الفعل البشع لتفرض قوتها، إذ لا أحد يجرأ عن وضعها تحت الأقدام، ويكون هذا الموقف عبرة. قد تناول العتوم في هذه الرواية المشهد بالتفصيل قائلا: «بعد حوالي نصف ساعة، سمعنا أقدام الشرطة، توجهوا إلى أبواب غرف المهاجع، وفتحوا نوافذ الأبواب والشبابيك، ليتسنى لنا مشاهدة الموقف... لم نر غير السّجين وقد عري تماما... وقد ربط إلى كرسي أراه لأول مرة، كان كرسيا غريبا... وقف المدير... وهو يوجه كلامه إلى الغرف... والله لأدبكوا كلكوا يا كلاب !!... أشار المدير لأفراد الشرطة، فهجموا عليه... ووجدوا الفرصة سانحة لممارسة حفلهم الدموي»[4]، يعكس لنا هذا المشهد أن الدولة دائما ترى نفسها الطرف العادل، لكن يبقى لنا إعادة النظر في الموقف من بدايته، من تعدى على الآخر هل السّجين أم السّجّان؟ نعم أنه السّجّان الذي تمرد ولكن على من؟ هو لا يستطيع إن ينتقم من الدولة وقانونها، هذا ما خلق في نفسه الهمجية وصبها على من لديه سلطة عليه (السّجين)، وعلى هذه الرؤية الكلية يمكن أن نخلص لفكرة تتوافق بطبيعة الحال مع هذا المشهد، الظالم هنا السلطة التي مارست حقوقها المشروعة بطريقة فظة، جعلت كل من السّجّان والسّجين تحت هذا التحكم الذي صاحبه تقييد في الحاجات الأساسية التي لا يتسنى للإنسان العيش بدونها.

[1] حاب منى شاكر: السّجّان في أدب السجون، ص114.

[2] عبد الرحمان الكواكبي: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص26.

[3] محمد التومي: التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المهدور، كيف يكون الاستبداد بوابة للجداعة والتغليل، جريدة الرأي العام، تونس، العدد259، السنة السادسة، 9ذي القعدة 1441/ 09جوان 2022، ص15.

[4] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص114-115.

وفي ذات السياق هناك من العلائق ما يمكن أن نقول عنها أنّها نظامية يفرضها الوسط، إذ على السّجّان إنّ يكون بتلك الذهنية مع السّجين حتى وإن كانت ظلما وتعسف، وهذا ما دعانا للتوجه لشرح بعض الارتباطات الخاصة بهذا الموقف، يتوجه صاحب الرواية لعرض هذه النماذج يقول ممثلا ذلك «وحين انفتح الباب ثانية، رأيت على وجه الضابط المسكين علامات الرجاء اليأس، بأن ينفذ الأمر حالا، خلت وجهه اسود في تلك اللحظة ربما خوفا على نفسه من إنّ يفشل في مهمة بسيطة كهذه، ويشهد على ذلك ثلاثة من ضباط المخابرات يقفون خلفه متحفزين...»[1] وفق ما جاء من الكلام يصح أن نقول أن هناك بعض القرارات اضطرارية لا مجال للنقاش فيها، ففعل الضابط هنا مرتبط بالمهنة، وبالتالي تكون الممارسات عبارة عن إجراء عادي يفرضه أمن الدولة، وليس للمتهم إلا الرضى بذلك، وعلى هذا الأساس يمكن أن نحتكم بأن العلاقة القائمة بين الطرفين علاقة حاكم بمحكوم، هذا ما يرجح وجود روابط استثنائية، حتى وإن كان للسجان رأي مخالف للقرار السلطوي فعليه كتم ذلك، وإلا صار معرضا للإعتقال، ومن هذا المبدأ تكون الأحكام الصادرة ناتجة من طرف السلطة، وفي ظل هذا سننوه إلى ذلك فيما قاله صاحب الرواية متحدثا: « في غمرة هذه التفتيشات الدقيقة، أخذني الضابط الذي كان شكله مألوفا لدي، وانتحى بي في إحدى نواحي الغرفة، وخاطبني بصوت خفيض: لقد قرأت لك قبل أيام قصيدة: (قالوا حجابك)، وإنّها من أروع ما قرأت لك... كم أنت جميل أيها الشاعر... لم أكن أدري لماذا فعل معي ذلك؟ هل كان بهذا التصريح بعيدا عن الأعين والأسماع ينطق بحقيقة ما يكنه لشعري؟! أم أنه قال ذلك من باب تلطيف الأجواء»[2] ومن هذا الكلام يمكن إنّ نشير إلى العلاقة وقوامها بين الطرفين على أنّها ناشئة خارج عيون الرقابة، وهذا ما يوصلنا إلىإنّ السّجّان نوعان عون مباشر (عبد مأمور مكلف بمهمة) وحاكم الأمر بالسّجن والقائم عليه، وبالتالي يصبح جدل علاقة السّجّان بالسّجين مرتبط بما يسمى القانون، وأحكام السّجن.

وعليه نقول إنّ العلاقات بين السّجّان والسّجين لها مبادئ غلبت في بعض الأحيان قرارات السّجّان المأمور، وهذا ما أوضحه الراوي حينما قال:« دخلت، وتعلمت إنّ أظل واقفا، كان القاضي يجلس في مواجهتي، وكان برتبة (رائد)، وكان إلى يمينه المدعي العام برتبة(نقيب)، وإلى يساره أحد الكتبة قلب القاضي الأوراق التي أمامه، ثم ينظر إلي بابتسامة لم يستطع إنّ يخفي المودة في ثناياها، ولم أستطع بدوري الهروب من صدقها، وبدأ الحوار: قصائدك قوية. إنّا أقرأ بعضها منذ زمن، شكرا، أنت تملك موهبة فذة»[3] بهذا المشهد والحوار بين القاضي

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص15.
[2] المصدر نفسه، ص17.
[3] المصدر نفسه، ص106.

والمتهم، يمكن الإحالة إلى وجود روابط استثنائية بين السّجّان والسّجين، ففي هذه الحالة الترابط الكامن هو مجرد استطلاع عملي، والموقف الظاهر يبرز إنّه مهما كانت الرابطة غير سلمية بين السّجين والسّجّان فهذا لا يمنع من مد رأي صادق، لأن الهيبة الأولى والأخيرة للمحكمة هي العدل والإفصاح عن الحقيقة لا التستر عنها مخافة الإطاحة بالنظام.

ناهيك عن مجمل الارتباطات هناك ما يبقينا على دراية بأن منشأ العلاقات في السّجن مرتبط بتواصلات إلزامية، تبرزها التشكلات المحصورة في المجتمع السّجني، وهذا ما تثبته حالة السّجّان المأمور، كأن يخبر السّجين بموعد الزيارة، أو المحكمة، جلب الكتب، القيام بالتفتيش، هذه العمليات يمكن اعتبارها تواصلا روتينيا دائما بين السّجّان والسّجين، قابل إنّ يتطور وتنشأ منه علاقات خاصة بينهما سواء سلبية أم ايجابية، ووفق هذا المبدأ يمكن أن نشير لهذه الرؤية بموقف من صاحب الرواية إذ صرح قائلا: « اعترفنا جميعا إنّنا — في البداية– لم نملك خبرة ولا دراية بكيف تخاط الحيوات، فلبسنا أثوابها كيفما اتفق، غير إنّ الزمن إذا كان رفيقا مخلصا فسيتبرع بتعليمك طرائق العيش دون أن تطلب منه ذلك، انصت إلى لسان الحياة تتعلم ما لم يكن في حسبانك !!»[1] بناء على هذا يمكن أن نؤوّل النّص إلى نشأة العلاقات بسلبية أو ايجابية مرتبط بالضرورة بالخبرة أو ما نسميه العقلية ما إذا كانت تتفق أم تنفصم، وهذا طبعا يحدده الزمن والحياة، وعلى أساسهما تبنى الطريقة الصحيحة في العيش وتقبل الوضع، ومنه تظهر العلاقات السلبية في نص العتّوم بحديثه « [شخص] آخر في هذا المهجع ... عبر الطريق المؤدية إلى المطعم، كي يصيب بعض الطعام، فقد بدت عليه آثار الهرم والجوع القارص والعجز، غير إنّ أحد أفراد الأمن الذي كان في عمر أولاد أولاده صاح فيه صيحة مرعبة، وشتمه شتيمة باردة... وأمره بالعودة إلى مهجعه، فعاد ذليلا وقد ازداد وجهه شحوبا، وقامته إنّحاء»[2] بهذا الفعل يتبين إنّ التواصل الموجود بين السّجّان والسّجين فيه من السلبية ما يكفي لأن يصنع الحاجز بينهما، وهذا ما يجعل العلاقة انفصالية تؤدّى بطريقة السيد والعبد وما يحكم بينهما قانون وفقط، إذن بهذا الاختلاف ورسم حدود العلاقة مع سيطرة الشخصية بأفعالها غير الخلقية فيما يسمى بإطار المهنة يتحقق مبدأ السلبية في العلاقات وهذا ما يوضحه العتوم في طريقة تعامل السّجّان مع السّجين (السخرية، ذل، إهانة...) يقول: «صرّ الباب في يد الضابط وهو يدفعه إلى الداخل، ويشير بيده كي أدخل... دخلت... أغلق الباب، وقال لي من كوة استقرب في الثلث الأعلى من الباب: هل تريد مصحفا؟! هتفت: نعم. غاب قليلا، ثم عاد: ناولني المصحف من الكوة، وقال لي بلهجة استهزاء واضحة: خذ، تستطيع الآن إنّ تنشد:

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص207.

[2] المصدر نفسه، ص216.

السّجن جنات ونار... وأنا المغامر والغمار... ثم ابتسم ابتسامة باهتة... أمسكت بالمصحف، ثم تمتمت: يبدوا إنّ الضابط كان يسخر مني، إذ كيف أستطيع القراءة في جو كهذا؟!! ثم أحسنت الظن، فقلت: ربما كان يقصد القراءة غدا بعد أن يكون الصباح...»[1]

من هذا الارتباط الموجود بين السّجّان والسّجين والموضح في هذا النص، نلاحظ بأن العلاقة مبنية على جانب سلبي، نشأ من تعامل السّجّان الساخر، كأنه بذلك يرسم صورة سلبية في عين السّجين، وبالتالي تكون العلاقة قائمة على التوتر والشك ما يخلق حدودا بين الطرفين هذا على العموم، لكن إذا كان السّجين بذهنية أخرى سيرى بأنه قادر على خلق إيجابية بين كل من السّجّان والسّجين، وهذا متعلق بميزات في شخصية السّجين المثقف الواعي بالمكان، في حين إنّه قادر على إنّتاج تواصل فعال وإيجابي، إذ نجد من العلائق الايجابية بين السّجين والسّجّان ما جسدها العتوم في الارتباط الموجود بين سجين رأي وسجان ويتضح ذلك في قوله: «كان الشرطة يحترمون (ليث) احتراما خاصا، وكذلك بقية السّجناء السياسيين، فكانوا يخطبون ودنا بما يزيدونه من فائض الأطعمة»[2] بهذا الاحترام يمكن للعلاقة إنّ تستمر، وتتعايش على طريقتها، فبهذا يلقى الإنسان من القبول ما يسمح له بممارسة جزء من الحرية المفقودة، وعلى هذا الأساس تتولد العلائق بطريقة إيجابية يكون العنف فيها خفيا، فمخاطبة العقول بطريقة واعية تخلق نوع من الاعتبار لدى من يوافقك التفكير يتحدث الراوي قائلا: «استطاعت قضايانا العادلة، وتكاتفنا معا إنّ تشيّع جوا من احترام أفراد الأمن لنا... وكان لذلك غير سبب، فمنها إنّ معظمنا مثقف وجامعي،... وأن قضايانا ليست كقضايا الآخرين... وأنه يجمعنا ويفرقنا الخطاب العقلي»[3]

## 2- علاقة السّجين بالسّجين

إنّ اتخاذ السّجن مكانا للعيش الإجباري المعادي للحياة الطبيعية بتفاعلاتها، يصوغ لك صورة أو مشهدا وفق ردود أفعال سيكولوجية تشكلها شخصيات هذا المجتمع (السّجن)، باعتبار السّجين أحد أفراده، أثرت عليه ارتباطات شخوص هذا المكان بالإيجاب أو بالسلب، والتي عادت على السّجين وتواصله بعلاقة ذات مرجعيات.

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص22، 23.
[2] المصدر نفسه، ص168.
[3] المصدر نفسه، ص172، 173.

يمكن حصرها فما هو متعلق بالتهمة، المستوى الإجتماعي، الثقافي، الإيديولوجي، وعليه سنقوم بدراسة هذه العلاقات القائمة بين السّجين والسّجين على حسب خصوصياتها وتأثيراتها في الوسط الاجتماعي عموما والسّجين خصوصا.

إذا كان أول تواصل بين السّجين والسّجّان هو لحظة الإعتقال، فإن أول تواصل بين السّجين والسّجين يكون لحظة دخوله للسجن، علما إنّ هذا التواصل في بدايته لا يحظى بالثقة والتفاعل بين الطرفين، وبالتالي يحدث ما نسميه انكفاء الذات، التي تعتب «آلية دفاعية تسير في اتجاه التقوقع والإنسحاب بدل مجابهة التحديات الراهنة والمستقبلية»[1] يمكن القول على هذا الفعل إنّه منطقي، فالإنسان مجبر على إنّ يرسم حدودا لعلاقته مع الآخر، خصوصا إنّ تعلق الأمر بأشياء فيها نوع من الحساسية، وهذا ما جسده العتوم في تمثيله القائل: «لم أفكر لحظة في إقامة صداقة مع إي شخص هنا، اكتفيت بالمراقبة من بعيد... كنت اجلس على برشي في الطابق الثاني من السرير، وأنظر في الوجوه، وأحدق في تفاصيلها »[2] بهذا التمثيل يمكن القول إنّ صنع إطار خاص في مثل هذا المكان شيء طبيعي، بل إنّه وعي بالذات وقضيتها، وليس مجرد عبثية سائرة، ما يمكن اتخاده حماية للنفس من مخاطر تودي بالحياة إلى الهلاك، ومع ذلك يبقى التواصل مع الآخر درس في الحياة بتقلباتها، ما يجعلك تخاطر لمعرفة الآخر وخلق تعايش مع الوضع الراهن، ربما هذا ما نسميه بداية لحياة جديدة فيها مغامرة يقول صاحب الرواية «لن أمدح نفسي حين أقول إنّني كنت في السّجن أجيد الإستماع بطريقة مذهلة، قد يبدأ محدثي الحوار، ويستمر فيه قرابة نصف ساعة دون إنّ أقاطعه، وأكتفي بهز رأسي كلما نظر إلي، لأشعره باهتمامي الكامل أردت إنّ أتعلم في السّجن ما لم أتعلمه طيلة حياتي قبل الدخول إلى هذا العالم».[3]

ومن هذا المبدأ يتبدى لنا اتخاذ أسلوب اعتياد العيش الجديد في مثل هذا المكان لفعل صواب، بالأخص إذا كان السّجين ذا قضية تخص أمن السلطة، فالتحفظ أمر ضروري في مثل هذه المواقف، إنّها ثقافة ووعي من السّجين وبوسطه، وهذا ما حده الراوي حينما قال:

[1] يوسف الشوفي: ثنائية السجين والسجان والعلاقات الإطظهادية في أدب السجون (دراسة نقدية بنيوية)، مركز ليفانت للبحوث والدراسات، ص 14، على الرابط: http://levant-ssc.com//.

[2] أيمن العتوم: يا صاحبتي السجن، ص 154.

[3] المصدر نفسه، ص 98، 99.

كانت هذه منهجيتي في السّجن، إذ لكم أفرط في الجلوس مع أي شخصية كانت هناك والانصات التام لها بغية الاستفادة»[1] وعليه نقول: التفاعل مع الآخر تحدده طبيعة المحنة هذه الأخيرة تشكل المواقف الإنسانية بحالاتها، والتي تصطبغ في بدايتها بنوع من التواصل السطحي، فالسّجين في حالة مواجهة صعبة مع الطرف الآخر (السّجين) الذي من الممكن إنّ يكون عاملا سريا مع السلطة، يقول الروائي متحدثا بمعرفة ذاتية حينما اقتيد للزنزانة الانفرادية بقسم المخابرات «فجأة سمعت طرقا غليظا، أخرجني من غمرة أفكاري... صمت وأصخت السّمع...فكرت... إن هذا الصوت لا يشبه طرقا على الأبواب، إنّه يشبه طرقا على الجدران... صدق حدسي... في البداية عقدت الدّهشة لساني فلم أبرح مكاني، ولم إن طق بحرف...فأعاد الكرة وسمعته حينها يقول: من أنت؟ كان سؤالا يبدو ساذجا بالنسبة لي، ويبدو إنّ صاحبه توقع منّي إنّ أجيب على الفور...خيّبت ظنه... وعاد المكان ليغرق في الصمت»[2] بناء على هذا نقول إنّ وضع احتمالات في أول علاقة بين سجين وسجين، ووضع شكوك عن أرضية لا تدري إلى ما تفضي يكسبك الحذر والقوة في المواجهة.

لقد ذهب السّجن بالروائي لرسم دلالات إنّسانية، اجتماعية، سياسية، ثقافية، جسدها في العلاقة القائمة بين السّجين والسّجين مع تعدد مشكلاتهم وقضاياهم التي أوغلت بهم في هذا الحيز الجغرافي، إذ يمكن طرح الدلالة الإنسانية في الرابطة الموجودة بين السّجين والسّجين فيما صرح به الروائي قائلا «خطوت أولى خطواتي في غرفتي الجديدة...، وكأن الرفاق أحسوا بتملك الدهشة والغربة من شراييني، فهتف احدهم الأبعد في المسافة والأقرب في الفهم: تعال إجلس. شاركنا الأكل... سقطت هذه الكلمات على جوفي بردا وسلاما...وهبطت على حلقة المجموعة هبوط الطير على دائرة الحب... سأسميها من اليوم: دائرة الحب...!!»[3].

من هذا النص نقول يستطيع الإنسان رسم وجوده في وسط غريب، فالإنسان لا يمكن إنّ يتخلى عن آدميته، لقد صنع هذا الموقف بداية لطريق جديد عنوانه تشارك المحنة، وبالتالي فجدل العلاقة بين السّجين والسّجين هنا قائم على معايشة المحنة وبناء عائلة في فضاء جديد، يستمر التواصل بين الطرفين ويأخذ أبعادا إنّسانية يجسدها الراوي في نصه الروائي متعاطفا مع السّجين الذي تعرض للظلم إذ يتحدث قائلا «بدأ الحزن

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص221.
[2] المصدر نفسه، ص24،25.
[3] المصدر نفسه، 67، 68.

يشكل غمامة حامضة تلف روحي بعد هذا المشهد الرهيب، ظل طيف السّجين، والسياط تلتف على جسده، ولا تفارقه إلا ومعها منها شيء ظل ذلك حاضرا في ذهني لأسابيع طويلة»[1].

فعدم الاعتياد بمثل هكذا موقف يجعلك ضعيفا، إذ كيف لإنسان قبل إنّ يكون سجانا إنّ يتعدى على أخيه حتى وإن كان سجينا، ولكن يبقى هذا المشهد فيه رؤية أخرى عن العلاقة المقامة بين السّجين والسّجين حتى وإن كانت غير مباشرة، إذ حملت رسالة مشفرة إلا وهي عليك إنّ لا تظهر ضعفك في حالات كهذه ففي هذا المجتمع يكون معروفا باسم الإشفاق لهذا سرد الراوي في نصه متكلما عن هذه الحالة إذ يقول: «كانت عيناه قد ازدادتا ضيقا، لكنني رأيتها تشعان إصرارا وتحديا جذبني بنظرة اسية... وكأنه يقول لي: يبدوا إنّك غر لم تر بعد شيئا»[2] بهذا النص يمكن استنتاج إنّ علاقة السّجين مع السّجين تخضع للقانون الإجتماعي تلخصت تماما كما يحصل في المجتمع بسيئاته وحسناته، فالسّجين هنا كأنه بعث برسالة للسجين يعلمه بقواعد هذا الوسط، وعليه إنّ يكون قويا يصنع انتصارا لنفسه أمام الحكام، فدوام واستمرارية التواصل بين السّجناء ولد نوعا من الارتباطات بينهم تعدت الحيز المكاني، هذا ما تطرق "العتوم" لإظهاره من خلال علاقته بمن جمعته رابطة التواصل يقول: «هزني عكرمة من يدي فسارعت إلى الوقوف فزعا، ضحك وصاح: صلاة الفجر. ما أجمل إنّ تضع نفسك بين يدي الله منفردا، وما أروع إنّ تمارس ذلك الطقس مجتمعا!!».[3]

يوضح هذا القول تلك العلاقة الصادقة بين السّجين والسّجين، وبخاصة إنّها لامست الجانب الديني، هذا ما جعل العلاقة تتحور من ناحية إنسانية إلى ناحية سوية أكثر هي الدين، هذا ما يؤكد لك ما يزرعه الإسلام في الشخص من أخلاق، والتي بها تكسب معركة كنت فيها وحيدا، وهذا كونه السّجناء عندما توحدوا إنّها أسرة مثالية أنتجتها القناعات المشتركة يقول «العتوم يبدو أن (عليا) أوشك أن يقيم الصلاة، ... صنع معي هو و(يوسف) من بعده معروفا لا ينسى... لم يكن من سبيل إلى الاستيقاظ إلاّ بذلك الصوت الشجيّ مع هزّة الكتف تلك؛ بهما شعرت بدفء الأخوة».[4]

[1] يمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص 117.

[2] المصدر نفسه، ص 131.

[3] المصدر نفسه، ص73.

[4] المصدر نفسه، ص 293.

ويعني هذا القول كيف جمعت رابطة الدين بين السجناء، وألّفت بين قلوبهم في رحاب القرآن، الذي لامس المضغة الموجودة بين ضلوعهم، فأنستهم الهمة والشوقة للأسرة، إذ بدا ذلك من الاهتمامات الموجودة بين السجناء، والتي شكلتهم كعائلة واحدة وهذا ما أفصح عنه الكاتب حينما قال: «لم أكد أستمر في المشي حتى رأيت من بعيد عكرمة يصيح بي: إن تعال إلى الفطور»[1] هذا القول يبرز لك المثال الحي عن قدرة التعايش والارتباط مع الآخر، والذي في كثير من الأحيان يمتد لأبعد الحدود، وينمي العلاقات ما يؤدي بها إلى خلق وضع أصعب من ذي قل، بينما كنت سجينا وبعدها تأقلمت مع محيطك الجديد، يأتي ما لم تتوقعه انفصال التواصل مع السّجناء الذين صاحبتهم يقول: «غادروا غرفة المستودع وتركوني فيها قمرا نازفا في ليل الوحدة، ونجمة حائرة في فلك الوحشة»[2] يعكس هذا القول أثر الفقد حتى وإن كانت هذه الارتباطات فعالا فصعب انحلالها، فالمكان هنا لا يهم بقدر ما تهم التجربة بتأثيراتها وهذا ما تحدث عنه الروائي قائلا: «كل ما لدي من ثياب وزعتها على بعض المساجين الذين رأوا فيها هذية سقطت عليهم من السماء. مصحفي تركته في غرفة المستودع... غير أنّ حبي لكي يستفيد منه زميلنا ذو البشرة السمراء، كان أكبر من أن يرافقني بعد هذه السنوات الطوال»[3]

النص يبرز الموقف الانساني الذي جمع بين السّجناء، وتواصلهم مع بعضهم، لقد استطاع السّجين بناء علاقة مع الآخر في هذا المجتمع، وعليه يمكن حصر ذلك في إطار «التعايش المكاني في بيئة جغرافية معينة يتعامل بها الأفراد ويتفاعلون مع أوضاعها، وتتكون بهذا التفاعل طرائقهم في المعيشة والحياة»[4]، وهذا ما جعل العلاقة ذات روابط فعالة ومستمرة يقول العتوم «كنا كأصحاب الكهف، جمع بيننا سوط السلطة فأوينا من لسعاته إلى هذا الكهف لنبدأ حكاية بينة لا يتنازع امرها بيننا أحد»[5] هذا القول يوضح أنّ العلاقة التي جمعت بين السّجين والسّجين قائمة على نقطة مشتركة ، وهي اجتماع الفقد للحرية بينهم، هذا أساس التقارب والتلاقح بين جميع الأشخاص، رغم وجود اختلاف في الايديولوجيات وهنا يضيف صاحب الرواية قائلا:« تلقائي(ناهض) بعد أنّ عدت إلى القفص في القاعة الرئيسية لمحكمة امن الدولة، سألني: انحكمت؟ نعم قديش؟ ! سنة وخففت إلى ثمانية

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص293.

[2] المصدر نفسه، ص 79.

[3] المصدر نفسه، ص128.

[4] أحمد بلعبكي وآخرون: جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والامة والوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت ط1، 2014، ص78.

[5] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص69.

أشهر بسيطة...بسيطة...مشان الوطن، الحمد لله[1]» يوضح القول أنّ الحرية وافتقادها هي من جمعت الصلة بين السّجين والسّجين، حيث كانت دافعا للتواصل ومعرفة مدة الحكم التي سيقضيها السّجين معه في هذا القفص، إذ يضيف في ذلك قائلا: «ها نحن نجتمع تسعة في هذه الغرفة، اختلاف الدين، وتباعد القضايا، لم يحولا دون انصهارنا كمجموعة واحدة، جمعها هم الفقدان المؤقت لطائر العذب يدعى: الحرية»[2] هذا الكلام يرسم لك صورة عن علاقة حميمية بين السّجناء، لم يكن يهمهم الاختلاف الموجود سواء أكان دينيا أو فكريا أو ثقافيا، المهم جمعتهم المحنة فوحدت بينهم، غنه تغلب عن الوضع الراهن وتعايش ربما هو مفقود في الخارج بهذا تكتشف أنّ الارتباطات مهما كانت فيها أنانية، تسلط، حب الذات فلها جانب إنساني يبرزه قهر الحياة ونظامها، وعليه تكون العلاقة هنا ذات طابع إنساني سوي وهو ما وضحه العتوم بالرابطة الموجودة بين سجين رأي، أو أقول أيمن نفسه بسجين آخر وذلك ما مثلته قائلا: «كنت...قد كتبت بعض القصائد والرسائل والقصص القصيرة، ولم أجد من وسيلة لإخراجها من المعتقل، إلا مع صاحبنا تيسير»[3].

هذا النص يبين أنّه لا يستطيع الإنسان حتى وإن كان بالسّجن، إنّ يعيش غربتين، فالحاجة تستدعي للتواصل وهذا ما أوضحته العلاقة الموجودة بهذا القول القائل: « عندما أعطيته تلك الأوراق، رمقني بنظرة غريبة، ودون سابق إنذار خلع بنطاله، ودس الاوراق في ثيابه الداخلية، وأحكم الإغلاق عليها، وقال بلهجة الواثق: لا تخاف ما حد راح يؤخذها مني!! » هذا الموقف أكثر ما يعبر عنه الجانب الانساني بين ارتباطات السّجناء، وكذلك لها بعد اجتماعيا آخر كأن تعرض نفسك لعقوبة ثانية من أجل حملك حقائق وشهادات عن نظام السلطة.

للوسط الاجتماعي تأثيراته ولقد شخصها لنا الروائي في عمله من خلال الشخصيات المسجونة، وكيفية تعاملها مع السّجناء، حيث يظهر ذلك في القول الآتي« في الرواية الغربية من المهجع (ب) يتربع المهجع (ج) كقصر وهو آخر هذه المهاجع، ويتكون من غرفة واحدة فحسب، وهو مجهز بوسائل رفاهية ليست موجودة البتّة في بقية المهاجع...كان هذا المهجع مخصصا لرجال الأعمال. والمحكومين من الأثرياء جدا، وكانت إحدى قضاياه قضية بيع أو تسويق الخادمات السيّرلانكيات. في الأردن في تلك الفترة»[4] يتضح من هذا المشهد أنّ للاختلافات

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص133.

[2] المصدر نفسه، ص175.

[3] المصدر نفسه، ص175.

[4] المصدر نفسه، ص76-77.

الطبقية هي الهرم الاجتماعي تأثيراتها في موقع السّجن والسّجين، وبالتالي خضوع الأخير لهذه التفرقة الموجودة في المجتمع من خلال تعدد السّجناء بطبقاتهم الاجتماعية، وعليه هل التمييز موجود حتى في النظام القانوني؟ وهل الاحقية في ممارسة الحياة محصورة في السّجين الثري فقط رغم الممارسات غير المسكوت عنها؟ فعلا هذا يعكس صورة السلطة وعدم عدالتها فهذا خلل في تطبيق القوانين ومناقض للخطابات السلطوية ولأن الدولة تغض الطرف عن هؤلاء الأثرياء، فهم يحضون بهامش كبير من الحرية في التصرف ويحيون حياة كأنها طبيعية قريبة من الحياة خارج السّجن ما داموا في نظر الدولة لا يشكلون خطرا على وجودها وبقائها بخلاف سجناء الرأي.

وهذا ما يعكسه القول الآتي: «كثيرا ما شاهدت أحد هؤلاء الأثرياء الموقوفين في مهجع (ج) يقدم خدمات ترفيهية لسجناء مقطوعين من مهاجع أخرى. كان هؤلاء السّجناء يتهافتون على التوافد إليه في معجعه بعيدا عن اعين الرقباء من الشرطة، ويتسللون إلى مخدعه، ويتساقطون بين يديه... وكان كل سجين من هؤلاء المتجمهرين تحت رجليه أو بين يديه، مستعد لتقبيل قدميه، أو تقبيل أي خدمة اخرى... مقابل باكيت من الدخان».[1]

يعكس هذا القول العلاقة الموجودة بين السّجين والسّجن، والتي يمكن تسميتها بأنها علاقة السيد بلعبد، ومن ناحية أخرى يمنحنا القول الذي لم يعد فضاء لتطبيق القانون وإعادة التربية والتأهيل، ومراعاة اعراف السلطة بل أصبح حيزا جديدا لقيام مجتمع جديد في مكان ذا خصوصية، كانه دولة مصغرة تمارس حرية في تعاملاتها غير آبهة بما يحصل، تؤمن بالاستمرارية مهما اختلفت الظروف. وعليه نقول أنّ جدل العلاقة هنا له قوام آخر، إنّه تعاقد خفي بين السّجناء بعيد عن أعين الرقابة لأجل المصلحة ومن جهة أخرى نقول أنّه استغلال للمكانة أو الطبقة الاجتماعية في وسط ما يقال عنه أنّه صارم في تعامله، وهذا انتصار ضد السلطة وخطاباتها، فإذا كنت قادرا على أنّ تسير حياته في السّجن وتقيم عقودا وانت تحت جناح الدولة هذا يجعل رؤيتك للسجن باهتة يقول الراوي «كان (طارق) ماهرا كذلك في أمور (الرهن) !! نعم (الرهن)، كان (برشه) يعج بالمرهونات الكثيرة، نجد عنده ساعات من أصناف شتى... لا تخطر على بال. كان يقوم خافتة بإقراض السّجين من (بنكه) المالي، إذ كان يحتفظ بسيولة لم يكن مدير السّجن بذاته يحتفظ بمثلها. ويدور على المساجين عارضا قروضه على زبائنه، وينتقيهم

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص77.

انتقاء، ينتقي المحتاجين للمال السريع من اجل رغبات خاطفة»[1]، وهذا الوصف يعطيك نموذجا عن سجين أثبت ذاته، وفرض وجوده، ونجح في الخروج من قوقعة الهيمنة والسيطرة التي سلّطها عليه السّجن.

إنّه سجيّن يرى نفسه مواطنا، ويرى لنفسه أيضا أحقية بالنسبة إليه وهكذا يحقق لنفسه علاقة مجتمعية قوامها الزّبونية إلى مجتمع فرض نفسه على السّجين، فخرج عن طوعه بخروجه عن القانون والأحكام السّجينة المتعارف عليها، يضيف أيمن العتوم قائلا: « يتفنن صاحبنا في التدليل عليها، وعرضها للبيع اما م كل السّجناء الذين كان يرى فيهم طارق زبائن محتملين!! ويربح أضعاف ما دفع من المال للرهن قبل أن يؤول المرهون إليه»[2]، المشهد يتعلق بصورة نموذجية لعلاقة السّجين المتحدي للسلطة والهيئة الحكومية بأنظمتها، السّجين هنا كما في الخارج، يمارس حقوق المواطنة بالتعاقد مع سجين آخر، كأنه بهذا نقل جزءا من حياته العملية إلى بؤرة نظامية، رسم المؤلف مشهدا حضرا فيه طرفا العلاقة (السّجين والسّجين) كمواطنين.

لقد خص الروائي في العمل جانبا مهما فيما يتعلق بعلاقة السّجين والسّجين، في حين أنّه أدرجها باختلافاتها، حيث إننا إذا رجعنا إلى العلاقة بينهما وارتباطها بالتهمة، فلا خصوصية معينة، وذلك ما يجعلها قائمة على الوعي وإفراد شخصيتك، بدل الوقوف متخوفا وعلية يقول الروائي: «لأن أيامي الأربعين الماضية اعطتني بعض الخبرة، فقد هيأت تفسي للأسوأ، ورضيت به... وقلت: يبدو أنّ الذائب حولي كثيرة، وإذا لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب»[3]، يقدم هذا النص صورة نموذجية عن مجتمع السّجن، إلى جانب ذلك يوضح الغلاقة المقامة بين السّجين والسّجين والمبنية وفق مبدأ القوة، إبراز نفسك على التعايش ومجابهة الوضع ما يمكن حصره في الانتصار والتعايش مهما كان الوضع، مستحضرا في قوله قانون الغابة المبني على بقاء الأقوى وهلاك الأضعف.

«في الذين ربطت وجوههم وأفعالهم، أحد السّجناء الذي لم يكن يفتعل مشكلة لأدنى سبب كما كان الكثيرون يفعلون هنا، كان يفترش الرواية البعيدة من الغرفة، كان يمشي بسرعة وكثيرا ما يلتفت وراءه، كأنما يتوقع في كل لحظة أن يهاجمه شخص ما»[4]، يقدم هذا النص صورة عن السّجين الذي فرض على نفسه إقام علاقة مع

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص305.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص 144.

[4] المصدر نفسه، ص 154.

السّجناء، وهذا طبعا ما يشكل علاقة انفصالية بين السّجين والسّجين، لتكون كآلية للحفاظ وتجنب مؤثرات هذه الارتباط، الذي كثيرا ما يكون قائما على توخي الحذر وتوقع الأسوء في اية لحظة، ومجابهة بقوة وحزم.

« ذات يوم إتهمه جاره في السرير بسرقة رغيف الخبز أثناء نوم الأول صاحبا ساكتا كأنه أصم. وحين بدأ صياح الرغيف يعلو، فزمن سريره كمن لذعته افعى في بطنه، ووضع يده على فم جاره،... وحدجه بنظره تخد مرعبة... قلتلك ما أخدته روح فتش على سرقة... ولو أتهمتني مرة ثانية أقسم بالله لأكسر رقبتك»[1]، هذا القول يفضي إلى علاقة تربط بين السّجين والسّجين، أساس قيامها هنا هو قانون الغاب بمعنى البقاء للأقوى، لذلك فالعلاقات بين السّجناء كثيرا ما تكون محصورة بجانب الذاتية في تكوينها بدل التعايش السلمي، وهذا يتعلق بالحالة النفسية للسجين التي تقحمك في إثارة المشاكل مع سجين لا ذنب له فيها أنت عليه، فبدل الانتقام ممن تسلط عليه وقام بسرقته، انتقم ممن يراه ضعيف ما شكل علاقة في حالة تصادم وردة فعل غير متوقعة.

يقول الروائي: «ذهل الأول من شجاعة صاحبه، ومن قوته، وظل مصدوما من ردة فعله، ولم ينس ببيت شقه، وقام من مكانه، وانسل انسلال الثعلب في حضرة الذئب إلى مخدعه،... وغطّى نفسه مستسلما للمهانة، وكسر الإدارة التي من.. بها قبل قليل».[2]

يبين النّص أصل العلاقات بين السّجناء التي قد يطغى عليها الجانب السيكولوجي، الذي يفضي بك إلى إطلاق أحكام مسبقة عن الشخصية ما يخلق نوعا من التّشاحنات وعدم التحكم في الأفعال والذي ينتج علاقة متوترة قوامها إثبات الذات، وهذا الفضاء لا يصلح له إلا قانون الغابة والبقاء للأقوى والأكثر جرأة.

اختلاف الإيديولوجيات بين السّجناء يعرقل عملية التواصل فيما بينهم، وبالتالي تكون العلاقة بينهم فيها نوع من التعصب والتشدد والحذر هذا ما تطرق العتوم لإظهاره من خلال سرده للعلاقة بين سجناء الر أي والجماعات الإسلامية بقوله: «لم نكن نختلط بأصحاب هذه القضية كثيرا؛ لأسباب عديدة، منها على سبيل المثال إنّهم كانوا يعدون كثيرا منا كفارا، وقد يبحون دمنا، على رأس هؤلاء الكفار كما يعتقدون (ليث) إذ إنّه كان وهو معنا في السّجن- نائبا في لبرلمان الأردني، وهو مجلس كفري في حكمهم: ذلك لأنه يحكم بغير شرع الله».[3]

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص 155.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسه.

[3] المصدر نفسه، ص 217.

هذا الكلام يفضي بنا لمعرفة إحدى العلاقات الموجودة بين السّجناء، والعوامل المؤدية لهذا الخلل الموجود في العلاقة بين السّجناء، إذ يرجعه الراوي للتعصب الفكري المبني بين سجناء الرأي، والجماعات الإسلامية حيث غن كل طرف يرى في أفكاره الاصح في قيام السلطة، وهذا ما يجعل الاحتكاك بين الطرفين سلبيا، فالتشبث بالرأي والتشدد يخلق نزاعات، وكل جهة تحاول إثبات نفسها وأن حكمها هو الصحيح ما جعل الهوة كبيرة بين السّجناء وكل شخص في طرف، وهذا ما عبر عنه الروائي بقوله:

«ومن الأسباب الأخرى التي زادت الغزلة بينها، أن بعضها كان يرى فيهم التشدد، والغلظة في التعامل، وأنهم كانوا يتمرسون وراء آرائهم، ويعتقدون فيها الصواب المطلق، ويرون كل ما عداها باطلا أو زائفا...»[1]، يشير هذا القول إلى أسباب التي أدت لخلق حواجز بين السّجناء ذوي الآراء المختلفة، في حين يبرز لنا ما يمكن أنّ نسميه الانطواء الذاتي وعدم الإيمان بالاختلاف الفكرية، إذا كل طرف يرى الصواب فيما يعتقد، لكن إذا التمس نقطة تقاطع بينه وبين سجين آخر- ارتباط الدين بالسياسة- فلن يفرط في جذبه له وعليه صرّح العتوم قائلا: «كان أبو محمد المقدسي، واسمه: (عصام البرقاوي) يدلف إلي من شبك المهجع...، دون أن يلقي السلام على أحد، ثم يدور ببصره هنا وهناك حتى تقع عيناه علي فيسارع في التوجه نحوي، والجلوس إلي. لا أنكر البتّة أن (أبا محمد المقدسي) كان على علم، وإيمان شديد راسخ بما يقوله، وكان يتحدث إلي بحماسة بالغة، ولعلني أضيف ويضمني إلى جماعته بعد أن قرأ قصائدي الثورية، وأيضا يأسه من الآخرين الذين يجاهرون بمخالفته الرأي»[2] يفصح لنا هذا الكلام عن أفكاره عدة مرتبطة بكل من السّجين والسّجين والعلاقة بينهما، والتي من الممكن أن تشكل قوة ضد الدولة، وعلى اعتبار أنّ السّجين صاحب الرأي المضاد للدولة، أقصد سجناء الجماعات الجهادية يمكن أن يرى في سجين الرأي نقطة مشتركة، وبالتالي يحدث ما نسميه تقاطع المصالح، هذا ما يدفع سجين الجماعات الإسلامية للتأثير على سجين الرأي وتكوين علاقة المصلحة هدفها أول تشكيل قوة ضد الدولة. فانزياح الطرفين وبناء جماعة ذات قوة ضد السلطة يخلق ما نسميه تضارب القوى وهذا استشراف لحدوث ثورة ضد النظام.

أما إذا سلمنا هذه الرؤية بشكلها المنطقي فإننا حين إذن يمكن أن نقول: «السّجين جزء من كل يؤثر في الجماعة كما تأثر الجماعة فيه...رغم انغلاق مجتمع السّجن»[3]، مادام يجمعهم نفس المكان فالأكيد وجود

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص 217.

[2] المصدر نفسه، ص 221-222.

[3] شرين محمد حسن سليمان: دراسة تحليلية لنماذج روائية من أدب السجون، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، جامعة القدس، 1439هـ-2018م، ص90.

تفاعلات بين أطراف هذا المجتمع، هذا ما يطبع الذات المسجونة التي من شأنها التأثير والتفاعل سواء اكان سلبيا ام ايجابيا هذا الأخير يمكن أن نطلقه على تلك العلاقات الموجودة بين سجناء الرأي باعتبارهم النخبة المثقفة يقع على عائقها « تمثيل العامة في مقاومة أشكال هذه السلطة جميعا، لا يدفعه إلا ما يؤمن به من قيم إنسانية عامة، لا حزبية ضيّقة، ولا فئوية متعصبة أو مذهبية متجمدة، ومصبرّا[مصّرا] على أن ينهض في هذا كله»[1] هذا ما جعله يخلق في السّجن جوا ثقافيا متغلبا فيه على محنته يقول العتوم في ذلك: «عشنا على موائد الطعام احلى اللحظات، وأكلنا بتلذذ، كما لو كنا نجلس في أفخر المطاعم واستمتعنا باللقم ونحن نتجاذب أطراف الحديث. لم يبق من شيء في السياسة والأدب والفن غلا اكلناه وشربناه مع ما نأكل ونشرب. لم تكن امورنا في نقاشات كهذه منظمة كنا جوعي غلى الكلام فحسب»[2]، هذا النص يوضح صورة عن السّجين المثقف من ناحية، ومن ناحية أخرى يظهر العلاقة بين السّجناء حتى وإن اختلف لا ثقافتهم فهذا لا يمنع من التواصل بوعي ونشر الأفكار ووضع وجهات نظر، وبالتالي تكون العلاقة هنا مبنية على الوعي الفكري، الذي كان يسعى إليه خارج هذا المجتمع، فربما يلقي صدى يسعى إليه يوما ما.

لقد بادر بذلك في هذا الفضاء دون معرفة النتيجة، إذ كانت محاولة يمكن أن نعتبرها إيجابية وهذا ما يوضحه قول الكاتب « كي نقطع الوقت أثناء وجودنا في هذا القفص الكئيب، إذ لم يكن مهما الهراء الدائر في شيء؟ تركّز معظم حديثنا حول (عرار)* وشعره... وجدت في ذلك متعة، بدا فيها الوقت ينقضي بسرعة»[3]، هذا النص يثبت مدى قوة السجّناء في تحدي السلطة، وعليه تكمن العلاقة بين السجين والسجين ليس في تشارك المكان والمحنة وحسب، بل تعدت لتلامس نقطة مشتركة وهي المناقشة والحديث عن الأدب هروبا من الواقع، ومحاصرة للزمن الذي يمر ببطيء، إذ ربما وجد في ذلك إعرابا «عن القلق بشأن القيود المقروضة على الفكر والحرية الفكرية في ظل نظم الحكم الشمولية»[4] ويعني ذلك أن السجين لجأ بطريقة غير مباشرة، لصد السلطة عن أفعالها الجائرة، بتكوين نخبة ثقافية واعية، والتي كانت بدايتها بجلسات كلامية وحوارات غير مقصودة، عن الأدب والثقافة حتى وإن اختلفت المشارب الثقافية، ووجهات النظر، المهم الإفادة والاستفادة وهذا ما يتنبه القول الآتي «كانت

[1] إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، ص11، 12.

[2] أيمن العتوم: ياصاحبي السجن، ص 94.

[3] المصدر نفسه، ص 103.

[4] إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، ص 141.

* عرار (1899-1944): شاعر أرددني من أشهر شعراء الأردن وأبرز شعراء الشعر العربي المعاصر، من رواد الحركة الثقافية الأردن، لقب بشاعر الأردن، كان مناهضا للظلم ومقارعا للاستعمار، سجن وطرد من وظيفته كرئيس للمراسم في دوان الأمير.

جلساتي مع (ليث) تشوّفا إلى الاستفادة من تجربة الرجل، وكثيرا ما كنت أدخل معه في حوار لم يفض إلى أي نتيجة ملموسة. لم يكن لدى الرجل رؤية سياسية واحدة مبلورة. وكان يعمل منفردا، مما جعل أطروحته أقرب إلى الهبات العاطفية الصادقة منها إلى الموقف المستند إلى فكر ثاقب»[1]، هذا القول يوضح علاقة السجين بالسجين، والتي هي في أصلها علاقة تفاعلية بين الجماعات مهما اختلفت الذهنيات الثقافية، هذا طبعا له تأثيره في الإحاطة بكل التجارب واستثمارها ما قال عنه العتوم: «أنست بالجلوس مع (عبد الله) مع أن دراستي في تلك الأيام كانت الهندسة المدنية، وقبل تخرجي فيها بفصل، إلا أن الهم الثقافي والشعر تحديدا ما وسع مساحة الالتقاء والتواد بيني وبينه»[2]، هذا النص يوضح متانة العلاقة بين السجين والسجين، الذي خلق نقطة مشتركة أنتجتها الثقافة والشعر، وهذا ربما سبب يجعلك تتأمل العيش حتى وإن كنت مقيدا فمن «يمتلك سببا يعيش من أجله فإنه يستطيع غالبا أن يتحمل بأية طريقة وبأيّ حال»[3]، وبالتالي يمكن أن ندرج هذا الفعل كأسلوب لمعايشة الواقع المؤلم والتغلب عليه.

إذ صنعوا من السجن ملتقى ثقافيا لم يعهد من قبل، وقد سرد العتوم اللقاءات التي جمعته مع نزلاء حزب التحرير، وكيف كانوا يسيرون حياتهم داخل المهجع يقول: « كان (عطا) يعطي في الأسبوع ثلاثة دروس في التفسير، وثلاثة في اللغة، وهكذا توزع أسبوع سجناء حزب التحرير إلى يومين: يوم للتفسير والذي يليه للغة. وكان (عطا) لعلمه بأنني شاعر يحثني أكثر من غيري أتباعه على حضور هذه الدروس والتفاعل معها ومتابعة علومها وهذا ما كان».[4]

يبين هذا القول صورة للسجين الذي يسعى للخلاص من قيده بطريقة سلمية، إذ تحدى ظروفه بالقراءة وإعطاء دروسا في مجالات مختلفة من الأدب، وقد أقدم على هذه الخطوة التي شكلت مع غيره من السجناء تواصلا نفعيا، جعلت الحضور لمثل هذه الجلسات إيجابية فيه نوع من العدل الحقوقي الممارس قبلا خارج القضبان الحديدية، إذ يمكن اعتبار هذا الوضع فرصة جديدة، للخوض في الحياة بأزماتها وتقلباتها، إنه تكاتف بين السجناء للتغلب على الأحكام السلطوية المجحفة، الذي اقتضى منهم الدخول لعالم الثقافة التي تعد «السمة المميزة لكل

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص 179.

[2] المصدر نفسه، ص 161.

[3] أحمد أبو زيد الإنسان يبحث عن المعنى (مقدمة العلاج بالمعنى، التسامي بالنفس)، تر: طلعت منصور، مرا: عبد العزيز القرصي، دار القلم، الكويت، ط1، 1402هـ-1972م، ص 107.

[4] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص 193.

مجتمع، وهي هويته التي بدونها لا تستقيم الأمور»[1] إنها نقطة ضعف لدى السلطة، ونقطة قوة لدى المواطن، إذ فتحت له الطريق نحو التغيير، وردع الفساد والظلم، وبالتالي كانت القراءة سلاح السجناء يقول كاتب الرواية: «أحاط بي (عكرمة)، كان هو الأخر مهووسا بالقراءة لقد كان وجهة كتابا، وعيناه صفحات، وأصابعه كلمات، وشعر لحيته حروفا. استفزني لأحتمي بالقراءة كما لم يفعل أحد من قبل، كنا نقصني وقتنا بين عبادة في محراب الكتاب أو رياضة في مضمار النقاش، أو مناكفة في حومة الآراء... !!»[2]، ويعني هذا القول أن العلاقة بين السجين والسجين مبنية على ثلاثة نقاط، يمكن أن نعتبرها تقاطعات محورية بينهم، النقطة الأولى هي القراءة والتي تفعل النقاش، وطرح الأفكار والبرهنة عليها وتفسيرها، أما النقطة الثانية يمكن حصرها في الرأي والذي بدوره يحتاج للإثبات وإيجاد التشابه والاختلاف، في حين نجد النقطة الأخيرة تتعلق بالجانب الإثني وهو جانب حساس لدى بعض السجناء نظرا للتشدد والتعصب عندهم، وهذا الاختلاف لو عالجناه بطريقة وأسلوب فكري واعي سيجد حتما تقبلا ممكن أن لا نجده حتى في المجتمع الخارجي، وهذا طبعا متعلق بقوة الذات في كيفية إثبات حضورها، وتكوين قوة جماعية. لقد اتضح ذلك في علاقة السجين بالسجين، إذ رغم الاختلافات فقد جمعتهم المصائب ووحدت بينهم، وهذا ما حصل عندما اشتد الخناق والتقييد عليهم فلجؤوا إلى الإضراب عن الطعام، إنها فكرة وحدت بينهم، إذ جعلت كل سجين مضرب يسأل عن الأخر وهذا ما قاله الراوي متسائلا عن حال السجناء «ثم ماذا حصل مع بقية الزملاء المضربين؟ هل مازالوا على إضرابهم، أم أن أحدا منهم فك إضرابه وتراجع عن قرار صعب وقاتل كهذا؟! ما هي أحوالهم... هل خارت قواهم وبان ضعفهم... أم أن هناك قوى خفية تقاوم هذا الضعف وتستقوي بالإرادة والعزيمة»[3].

هذا النص يوضح الرابطة القوية التي جمعت بين السجناء، على اعتبار المحنة نقطة مشتركة إلى جانبها الوعي الذي صدر من السجناء هذا كان له الأثر في خلق علاقة تواصلية نفعية، فرغم الاختلافات لم يكن منهم إلا الوحدة، فتقبل الرأي وإرجاعه لمنطق متعقل ربما يودي بك إلى الوصول لمصلحة مشتركة، طبعا الإيمان بالفكرة يجعلك تدافع عنها، لقد حصل ذلك مع السجناء الذين لم يدخلوا في إضراب، لكن جمعت بينهم فكرة الدفاع عن وضعهم القاسي، فالإنسان لا يرضى بالذل والمهانة. إن ما حصل في فكرة إقامة إضراب لم يحظ بالتقبل من

[1] مولود زايد الطبيب: علم الاجتماع السياسي، منشورات جامعة السابع من أبريل، ليبيا، دار الكتب الوطنية، بنغازي-ليبيا-، ط1، 2007م، ص 110.

[2] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص 282.

[3] المصدر نفسه، ص 265، 266.

الجميع لأسباب من بينها ما حدث عندما قامت الجماعة الإسلامية بحبس الشرطي، ولم تلق ما أرادت تحقيقه، هذا ما جعل الفكرة فيها تردد، ومع ذلك لقيت تقبلا من أصحابها ودافعوا عنها، وأثبتوا حقهم بالدعم ممن لم يكن متأكدا من نجاحها، وهذا ما قال عنه الروائي: «أخبرنا الحمام الزاجل أن صحيفة (شيحان) ستجري مقابلة مع (ليث) حول الإضراب وأسبابه وأهدافه، وأخبرنا – كذلك- أن شباب (حزب التحرير) قدر فضوا طعام السجن احتجاجا على ما نحن فيه، وأن عشرة من شباب ( بيعة الإمام) ينوون الإضراب عن الطعام مساندة لنا !!وهكذا جمعتنا المصائب ووحدات فيما بيننا، بعد زمن من الخلافات والاختلافات !!»[1] ، يطرح هذا القول أفكارا عدة فيما يخص علاقة السجين بالسجين، والتي بدورها خلقت علاقة مع من خارج السجن، لقد تشكلت العلاقة باجتماع فكرة الثنائيات المتضادة في حيز مكاني –العلاقة بين سجناء الرأي أو جبهة التحرير مع سجناء بيعه الإمام- ذو بعد سياسي وديني في الآن ذاته، وذلك في تناوله لتعارض إيديولوجيتين (الإيديولوجية السياسية والإيديولوجية الدينية) ثم تقاربهما، وهذا يؤول بنا إلى معرفة التقارب الموجود والذي كان سببه الوعي الثقافي والنقاش، في حين وجود تعارض كان دافعة التعصب الديني الذي تجلى بصورة عميقة في الارتباط الحاصل بين سجناء جبهة التحرير، وبيعه الإمامة، لكن مع ذلك يبقى شيء مشترك بين كل هؤلاء السجناء وهو الحرية، إذ وحدت الصف وعليه نقول: «إنّ إرادة الحرية بوعي، لا يمكن إذن أن تكون سوى اجتياز بوعي الخطوات التي تقود إليها فعليا»[2]، هكذا كانت الحرية النقطة التي وحدت بين كل السجناء، إنه وعي بالذات وثقافتها والتي شكلت قوى اجتماعية «تمثل نواة التنظيم التضامني الذي تقتضيه سياسات الدولة السلطية"[3]»، وهذا ما حدث مع سجناء الإضراب والسجناء الآخرين وذلك ما قاله العتوم: «عندما وصل قريبا من نافذة الزنزانة رأيته يهتف بي بصوت خفيض محاولات أن يسمعني دون أن يسمعه الشرطي: أيمن مد إيدك... خذ... كم قدرت لذلك السجين هذه المساعدة...»[4].

يفضي هذا القول لتلك العلاقة المبنية بين السجناء، والتي أثمرتها الفكرة، فجسدتها ببعد إنساني رغم اختلاف المواقف يقول الراوي: «على باب المهجع استقبلنا من تبقى منا في الغرفة ولم يلحق بنا في رحلة الإضراب

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص 276.

[2] جورج لوكاتش: التاريخ والوعي الطبقي، تر: حنا الشاعر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1982م، ص 256.

[3] خلدون حسن النقيب: الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر (دراسة بنائية مقارنة)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1996م، ص 67.

[4] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص 269، 270.

عن الطعام... كان (بكر) أول المستقبلين، فتح قلبه ذراعين من شوق واختضننا بكل ما أوتي من قوة، يومها نصّب (بكر) نفسه طبيبا شخصيا لنا جميعا»[1].

هذا القول يبين مدى قوة الرابطة بين السجناء، وهنا صارت العلاقة ذات قوام متشابك امتزجت به النزعة الإنسانية مع الثقافة، والفكر من أجل مطلب واحد وهو الحرية، إذ كانت قوة الإدراك وكيفية تخطي الوضع بالكتاب لتنمية الوعي الفردي إلى وعي جماعي نلمح ذلك في قول العتوم: «بعضنا كان يستعير لنا أكثر مما يستعير لنفسه، ندفعه إلى استعارة الكتاب حتى ولو لم يكن يرغب في القراءة البتّة، ونقول له: مادام يحق لك ذلك فأفدنا به إن لم ترغب أنت بالاستفادة منه» [2].

هذا النص يمدنا بالعلاقة القائمة بين السجين والسجين؛ إذ يظهر ذلك جليا من خلال محاولات سجناء النخبة المثقفة التأثير الإيجابي في البقية، وهذا لديه هدف مرتبط بنشر الوعي وتكوين مجتمع مثقف قابل لتغيير وضعه يدرك أن «كلانا مشترك في المسؤولية الاجتماعية، وقد بلغنا نقطة تفاهم مشتركة، سوف تتبدل القضية من العودة إلى الذات إلى العودة إلى ثقافة الذات»[3]، يصح من هذا أن نقول: إن وعي الإنسان بمسؤوليته والمبادرة بالتغيير من أكبر النقاط تضررا والتي يراها الكثير أنها بؤرة فساد، قادرة على خلق التغيير الجذري بالوعي الثقافي المدرك داخل السجن، وبالتالي يمكن الحكم هنا على أن السجن ومن خلال وعي أفراده قادر على الإصلاح، وهذا ما صنعه السجين المثقف بمبادراته في نشر الثقافة، بإقامة ملتقيات أدبية فكرية جديرة أن تكون خارج السجن.

يلمّح الروائي إلى وجود علاقات قد تكون طبيعية في تكوينها مادامت أنها العلاقة الأولى في نشأتها ألا وهي علاقة الإنسان بأهله، والتي تتطور في المحيط الاجتماعي لتتعدى ذلك إلى ارتباطات وتواصلات بالمجتمع ككل، لقد تجلت علاقة السجين بأسرته في الرواية من خلال قول صاحبها: « وصلت إلى شبك الزيارة، ورحت أتفحص الوجود... طفت بعيني في كل الوجود كي لا أخطئ وجها أتوقعه هابطا من السماء... نعم... نعم رأيته... ها هو... شهقت شهقة طويلة... وصعدت إلى أعماقي موجة عارمة من البكاء... ها أنت يا أبي... لهفة جامحة... ودمعه حنان كثيفة... ها أنا أكبر بمجيئك عاما من الفرح، وأزهو بلقائك مثل زنبقة في جوار صفصافة سامقة»[4]،

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص 281.
[2] المصدر نفسه، ص 283.
[3] علي شريعتي: العودة إلى الذات، ص 36.
[4] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص85- 86.

يمثل القول العلاقة الارتباطية الأولى للإنسان، في حين أنه لا يمكن أن تنفصل، وهذا ما يفصح عن الكينونة الأولى له، حتى وإن كان سجينا ولديه آراء فلن يتشكل شرخ في التواصل بين الإنسان وعالمه الأول الذي كان عالمه الداخلي ولكنه تحول ظاهريا إلى عالم خارجي، بل إنّه غاية جديدة تثبت الوجود، كما تحقق التواصل الدائم بين السجين وأهله والذي مثله الأب بزيارته لابنه السجين، إذ حتما ستكون العلاقة قائمة بينهما على التواصل الفعال يقول: « بم تملأ حقيبتي قبل أن يأخذوها منا؟ ! بالعزيمة... بالحب... بالإرادة... بالكلمة الحرة... بالثبات... إلى اللقاء يا أبي»[1]، يصح من هذا أن نقول مهما كانت الاختلافات موجودة بين الفرد ومحيطه وربما لا تجد من يؤيد آراءك، لكن في المحيط الأسري ستجد من يتفاعل معك، حتى وإن اختلف مع أفكارك، وهذا ما يثبت أن الاختلاف عطاء وبقاء.

ولقد أثبتت علاقة السجين بأبيه أنها علاقة متأصلة، داعمة للرأي، وعليه نقول: الأسرة هي «البوتقة التي تحيط بالفرد منذ ميلاده لتزوده بالقيم والمبادئ التي تساعده على التكيف مع المجتمع به. وهي الوسط الذي اصطلح عليه المجتمع لتحقيق غرائز الإنسان ودوافعه الطبيعية والاجتماعية، وذلك مثل حب الحياة، بقاء النوع، تحقيق الغاية من وجودها»[2]، وهذا فعلا ما حققته علاقة أيمن بأبيه الذي كان نعم الصاحب والقدرة، يصرح بذلك «كان أبي بطل الزيارات كلها... وكان أحب الناس إلى قلبي، وجهه الرباني كان يملؤني بالأمل، لم أعرف اليأس لحظة وطيفه يغلفني بالطمأنينة الناعمة»[3].

يبرز القول مدى قوة الرابط الأسري، وذلك من خلال ما جسدته علاقة السجين بوالده كونه السند الأول في محنته نظرا لتوافقها في الآراء، والمواقف السياسية الخاصة بالوطن، إذ كان فكرا موحدا، ربما هذا ما جعل السلطة تتعمد تقليص ساعة الزيارة فهذا التواصل يضعها في موقف السخرية من أفعالها، يقول صاحب الرواية: « قلصت فترة الزيارة... إلى عشر دقائق... لم يكن من المعقول مثلا أن أبي سيقطع أكثر من (300) كلم من أجل أن يتحدث معي عشر دقائق أو أقل إنه لظلم، واستهتار بمشاعر السجناء»[4]، هذا النص يبرز لك مدى ظلم السلطة للسجناء، ولكن مهما كانت قوة السلطة في فرض نظامها فإنها أحيانا «تسمح لبعض الناس فرض إرادتهم على

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص 88.

[2] نبيل حليلو: الأسرة وعوامل نجاحها، المتلقي الوطني الثاني حول الاتصال وجودة الحياة في الأسرة، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، أفريل 2013، ص 01.

[3] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص 228.

[4] المصدر نفسه، ص 252.

الآخرين»[1] وهذا طبعا ما حققه السجين بتحدياته، والمشي وفق قناعته مادام هناك من يدعمه، وهذا ما ذهب به قوله « ظلت الزيارات تتوالى... وظل أبي سيدها، وظلت الوجوه الأخرى التي لم أعرفها تزورني أيضا، زارني أناس من الكرك والطفيلة والعقبة... سمعوا بهذا الشاعر... فجاؤوا ليثمنوا موقفه»[2] موقفه "يفضي بنا هذا الكلام إلى أن الإنسان إذا صمم على رأيه وأخذه بعين الاعتبار، فحتما أن هناك من يتفاعل معه، وهذا بالضبط ما حصل مع السجين الذي أصّر على موقفه فلاق تقبلا، في حين أنه شكل قوة اجتماعية وهي « كل دافع فعال يؤدي إلى العمل الاجتماعي، وهي إرادة الفرد في ترجمة خياراته ومطالبه إلى واقع عملي في الحياة الاجتماعية الحقيقية التي يعيش فيها ويتعامل معها»[3]، وعليه فقد كانت العلاقة بين السجين وأهله مساعدة في تشكيل رابطة أخرى اجتماعية هدفها المصلحة الكلية، إذ يمكن هنا اعتبار السجن بداية فعلية لنشر الوعي.

يمكن الإشارة لحالات استثنائية تربط السجين بمن خارج السجن وهي علاقات ذات طابع خصوصي عملي، فأحيانا المكانة المهنية تخلق ارتباطا وتواصلا مع الطرف الآخر يدافع عنك، وهذا ما جسدته علاقة ليث (نائب في البرلمان الأردني) مع الملك، إنه تدخّلٌ من قبل الدولة للإفراج عنه والتوسط له يقول الراوي في ذلك: «جاء الملك بنفسه إلى سجن سواقة، وحل ضيفا على السجن وإدارته... طلب الضابط من (ليث) التوجيه إلى مبني الإدارة... خرج معه...، وهناك تفاجأ (ليث) بوجود الملك، وسلم عليه وأخبره الملك بأنه أصدر عفوا خاصا عنه»[4] هذا النص يبرز مدى فعالية المكانة الاجتماعية للسجين في فرض نفسه داخل السلطة، التي تكون أحيانا خاضعة بنفسها للأوامر. في حين يمكن أن نقول إن الإحساس بالغير جعله لا يتقبل فكرة الخروج وحيدا، ويكون مميزا عن غيره من السجناء، ما جعله يطلب العفو لهم أيضا، ف «الشعور الجماعي بتحمل الظلم جماعي يولد لدى أعضاء مجموعة تقع ضحية تمييز شعورا قويا بالانتماء إلى الجماعة التي يكتسب التماهي معها قوة مطالبة أكبر، وخاصة أنّ تضامن الجميع ضروري للصراع من أجل كسب الاعتراف»[5] وهذا ما حققته علاقة ليق بالسجناء السياسيين، أن طلب العفو عنهم وإلا رفض الخروج يقول: «غير أن (ليث)... رفض أن خرج دون بقية زملائه

[1] مولود زايد الطبيب: علم الاجتماع السياسي، ص71.
[2] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص 328- 329.
[3] مولود زايد الطبيب: علم الاجتماع السياسي، ص 71.
[4] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص 186.
[5] دنيس كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، مرا: الطاهر لبيب، عليم مولا مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 161.

من السجناء السياسيين، فطمأنه الملك أنه سوف يقوم بذلك قريبا إن شاء الله»[1] وهذا ما يثبت حد تكامل العلاقة ووصولها إلى التماهي.

### 3- علاقة السّجّان بالسّجّان

لقد كانت العلاقات في السّجن وفق تيارين، وهما تيار عمودي مثلته علاقة السّجين بالسّجّان، أما التيار الثاني أفقي فقد خصّ بعلاقة السّجين بالسّجين، أو السّجّان بالسّجّان، ما يسعنا إنّ نقول عن حضور السّجن بجغرافيته وتأثيراته لم يكن ذا بعد تنظيمي خاص بالسّجين فقط، إنّما تعدى ذلك ليشمل السّجّان وعلاقته مع السّجّان، والتي بدورها تحكمها التّراتبية الموجودة القائمة على الأمر والنهي، كون السّجّان نوعان عون مباشر في السّجن الموكل إليه بالحراسة وهذا مأمور مكلف بمهمة، والنوع الثاني حاكم الآمر بالسّجن والقائم عليه، وهو المستبد الذي يتحمل المسؤولية الأكبر سياسيا وواقعيا، ولكن في بعض الأحيان تنقلب تلك التّراتبية لاعتبارات قد ترجع لقدرة السّجّان الأقل مرتبة على التعامل مع السّجين، هذا يفضي به إلى طاعة أوامره في حين السجان المسؤول الأعلى، نظرا لحكمه المستبد قد يوقعه في تحد مع السجين، وبالتالي لا تظهر سلطته إذا لم يتحكم في الأمر، وعلى هذا الأساس سنقوم بدراسة علاقة السّجّان بالسّجّان وتمظهراته في الرواية، وعلى أي أساس مبنية.

لقد عالجت الرواية علاقة السّجّان بالسّجّان، إذ أنّها لم تكن حاضرة بشكل جليّ وواضح بقدر ما تجسدت علاقة السّجّان بالسّجين، ومع ذلك لقد برزت في المتن الروائي إذ يقول صاحب الرواية: «وصلنا إلى المحكمة أمن الدولة بعد أكثر من ساعة. وقف شرطيا باب الزنزانة المتحركة. وفتحا الباب الخارجي، ووقف ينتظرون أوامر الضابط»[2]، هذا القول يوضح العلاقة القائمة بين السّجّان والسّجين، والتي بدورها مبنية على الأمر وتطبيقه، إنّها التراتبية الموجودة في الإطار العملي التي غالبا ما تعطي صورة عن السجان الذي يفرض نفسه بهيبته التي منحته إيّاها السلطة، ويظهر ذلك في قوله في الرواية.

«صاح بالشّرطي الذي يحرس قفصنا: جيب هذا المتهم لقدام. سارع الشرطي المسكين تحت صياح القاضي، بالإمساك بيدي سجيني أنا وناهض إلى مقدمة القفص، سمعت القاضي حينها يصيح بعبارات غير مفهومة، كان واضحا غضبه الشديد...إنتا ما بتعرف تسكت؟!!...وبعدين معك؟!!... قسما إذا سمعتك مرة

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص 186.
[2] المصدر نفسه، ص 99.

ثانية، لطردك... أبعده عن وجهي(يصيح الشرطي المسكين)»[1] يحتمل القول أفكارا عدة عن تلك العلاقة الموجودة بين السجّان والسجّان، حيث إنّها وجدت بشكل الآمر والمطيع (القاضي يأمر، الحارس ينفذ)، لقد صوّر القول تلك العلاقة المبنية على التراتبية وإلى جانبها طريقة التواصل التي أوضحت تلك الحدّة في التعامل، كان سببها استصغار من طرف السّجين واستهزاء لمكانة القاضي، ورتبته بأمن الدولة، ما كان عليه أن يفرغ ذلك في السّجّان الحارس بدل السّجين كونه الأخير معاقب وفي مواجهة مع السلطة.

بالنظر للعلاقة بين السّجان والسّجّان وفق البناء العمودي لها سيتضح أنّها متشكلة على أمر وطاعة هذا ما جسده العتوم عندما دلف إليهم ذات مرة افراد الشرطة للقيام بالتفتيش يقول: «حدث ذات ليلة ما لم أتوقعه في حياتي... عدد كبير من أفراد الأمن وهو [ هم] يتدافعون إلى مهجعنا، فتحوا الباب بشكل جنوني، وصرخ الضابط المسؤول...بدأ أفراد الشرطة ببعثرة كل ماهو موجود... كانوا كلّما وجدوا شيئا يعتقدون إنّه مهم يلتفتون في وجوه بعضهم، ثم يدفعون به إلى الضابط المسؤول، وحين يرى أنّ هذا الشيء لا قيمة له، سرعان ما يرميه صائحا في وجوههم، وشاتما لهم» هذا القول يبين تلك الرابطة الموجود بين السّجّانون إذ كل السّجّان يحاول إبراز مكانته، فيحضر على شكل رجل يمارس مهنته على أتم وجه إنّه ينتظر أن يترقى ربما هذا هو السبب الذي يجعله يتمرس هذا الفعل غنها مصلحة خاصة بطريقة غير مباشرة.

يقول: «الصرخة الثانية التي خرق شرطي بها آذاننا... وهو يمسك بيده شيئا أسود يبدو كصندوق صغير، ويدفعه باتجاه الضابط، وهو يكاد يطير من الفرح قائلا له: (شوف ياسيدي شو لقيت عندهم... خذ ياسيدي...خد»[2] النص يبرر تلك العلاقة التي تلتمس إلى وجود ربّما يفرض لأن تكون ذميزة حتى وإن صغرت مرتبته المهنية، وأنّ الضابط الأقل رتبة هدفه الأول أن ينال رضي الأعلى رتبة منه بأيّ طريقة، ولكن أحيانا حتى وإن كانت رتبة السّجّان عالية وذات قيمة في إطار الدولة إلاّ إنّها قابلة للتعرض لخيبات عملية نظرا الاختلاف الشخصيات التي يتعامل معها وهذا ما يظهر في قول العتوم «لم يجد مدير السّجن أنذاك من وسيلة سوى أن يرفع الأمر إلى مدير الأمن العام، وهو أمر قد يكلفه الكثير إذ يعدّ فشلا إداريا من جهته... ولكن الموفق كان أخطر... فرفع الأمر إلى مدير الأمن العام، الذي سارع بتوكيل مدير مصلحة السّجون، وأعطاه كافّة الصلاحيات لحلّ المسألة بأسرع وقت ممكن»[3] هذا النص يفضي بنا إلى أنّ الرتب المهنية ليست ثابتة إنّها في تغير دائم، وهذا

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص137.

[2] المصدر نفسه، ص238.

[3] المصدر نفسه، ص 163.

ما حققه علاقة السّجّان بالسّجّان فإنّ أخفق سجّان في تأدية عمله، والسيطرة على وضع السّجن يلجأ إلى من هو أقدر في فرض نفسه على السّجناء، وهذا ما حدث عندما فشل مدير السّجن في حل المسألة، حيث انتقل الأمر مباشرة إلى مدير الأمن العام يقول الكاتب: «لم أكن أعرف مدير الأمن العام إلاّ من خلال صوره في الصّحف قبل أن يزجّ بي في السّجن، وقف بكامل هيئته العسكرية الفارهة، ووراءه مدير تالسّجن، ونائبه، وعدد من الضبلط، أكثرهم توشحت ياقة قميصه باللون الأحمر...»[1] يحتمل القول أفكارا عدة منها هو مرتبط بعلاقة السّجّان بالسّجين ومنها ما هو مرتبط بالسّجّان مع السّجّان وهذه الأخيرة تبرز تلك العلاقة المرتبطة بالتواصل العمودي بين السّجّانين وعليه تكون العلاقات التصاعدية من الأسفل إلى الأعلى في السلطة، إذ يضيف الرواي قائلا: « جلس مدير الأمن العام مكان مدير السّجن، وقبع مدير السّجن كأرنب في حضرة الأسد»[2] يبني النص تلك العلاقة الواضحة التي تتحكم فيها الرتب حيث إنّ مدير الأمن العام جلس مكان مدير السّجن، واستلم السلطة عنه، فالأمر هنا لا يتعلق بالمكانة بقدر ما يتعلق بمصلحة وهذا يتجلى في القول الموالي: « كان مدير الأمن العام أكثر سلاسة في الحديث، وبدأ أنه يريد إنهاء هذه القصة، ولو تطلب الأمر القفز على كلّ أوامر مدير السّجن الحجالي وكسر رغبته وإرادته».[3]

النص يورد تلك العلاقة القائمة بين السّجّان والسّجين في حين إنّه يورد العلاقة بين السّجّان والسّجّان، فما إنّ تولى مدير الأمن العام الأمور، لم تخضع سلطة مدير السّجن لفعاليتها داخل السّجن هنا يقول إنّ العلاقة بين الطرفين وأقصد بذلك السّجّان والسّجّان على إنّها متموضعه في إطار التراتبية الموجودة بينهما، لكن هناك حالات استثنائية نجدها في العلاقات بين السّجّانين والتي يكون للسّجين دخل فيها وهذا ما يوضحه قول الرّوائي: « ذات مرة، دخل علينا الغرفة شرطي صغير السن، وهو جندي لا يحمل أي رتبة حتى ولو كانت شريطة، وما رآه السّجناء حتى قفزوا من أماكنهم بخفة.. وبادر هو إلى الصياح، هاتفا: الكلّ عند برشه !! تجمد السّجناء أمامه تماثيل خشب، ووضعوا أياديهم خلف ظهورهم»[4]، يفصح النص إنّ في بعض الأحيان تكون العلاقة بين السّجّانين ليست لها أهمية إذ نجد أنّ السّجّان دون مرتبة قادر على فرض نفسه، بخلاف من يملك رتبة ولا يستطيع التحكم في الأمور، وهكذا قد يعود للسّجين فأحيانا مطيع وأحيانا أخرى متمرّد.

[1] أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص 277،278.
[2] المصدر نفسه، ص 279.
[3] المصدر نفسه، ص279.
[4] المصدر نفسه، ص 148.

# الخاتمة

لكل دراسة بحثية خاتمة متضمنة لأهم ما جاء من استنتاجات فيها، إذ تعتبر هذه النتائج القيمة والهدف من وراء تحقيقه جراء الخوض في هذا البحث كما أنّها الإضافة الخاصة والنافعة التي يضيفها الباحث بعد الدراسة والتحليل وفق الآليات المنهجية في البحث الأدبي، ووفقا لما اعتمدناه في دراستنا خلصنا لنتائج تتمثل في:

يمكن عدّ رواية يا صاحبي السّجن من روايات السيرة ذاتية التي روت الكثير عن صاحبها عن معاناته وعن تجربته وإضافة لمن عاشوا معه في ذلك المكان، كما أنها رفضت في البداية لأنها كانت تتعرض وقائع حقيقية في فترة 1996-1997 وأن أسماء الشخصيات واقعية حقيقية كما أنها تعري عالم السياسة وتفضحه، وتميزت لغتها بالشاعرية إلى جانب تضمينها للقرآن الكريم، كما نجده يوظف كلمات باللهجة العامية (الأردنية)، هذا كله من أجل توضيح فكرته عن تحدي ظلم الحكام وأنه آيل للزوال.

السجن مؤسسة عقابية إصلاحية لها قانون ونظام، هذا من المنظور القانوني الذي أفرد وجودها، أما المنظور الأدبي فيعده عالما ومؤسسة تقييد حرية الإنسان وحصرها بما يخدم المصلحة.

للسجن حضور راسخ إذ تمتد جذوره إلى العصر الجاهلي، وهو ليس وليد العصر فقد اكتسح نطاقا واسعا في عصرنا هذا، ويرجع ذلك إلى طبيعة الحياة واختلافها، فصار مؤسسة لها نظام وقانون سير لها، وعليه يمكن القول: أن السجن أفرزته الظروف بمتغيراتها الزمنية، فأفردته بمظهر جديد في حياتنا الجديدة والمعاصرة، إنه تجديد يوافق حال اليوم.

أدب السجون أو أقوال الكتابة الإعتقالية إنتاج فني أدبي يعكس تجربة إنسانية حية تتسم بالصدق، ضبطت هذه الكتابة بشروط خاصة فيما يتعلق الأمر بالمكان لأنه بكل بساطة حيز مكاني مغلق تحده الجدران، وإن اختلف بهذا الشأن وأن الشخص قد يكتب عن السجن وهو خارج عن جدراته سواءلاكانت تجربة شخصية معاشة أم راسخة في مخيلة المؤلف تأثر بها فكتب عنها.

لقد تعددت عوامل ظهور هذا النوع من الأدب، فنجد التجربة بعاملها النفسي وتأثيره في نفس السجين من أهم دوافع الكتابة، يعبر عن ألمه بشكل فني مؤثر والتاريخ أفضل شاهد على ذلك إذ يعد عاملا هاما أراده كاتب هذا الفن ليبقى راسخا في الذاكرة الجماعية.

أدب السّجون لم يكن حكرا على جنس أدبي بعينه إذ نجد له حضورا في الشعر والرواية والمسرح والقصة والرسالة وما إلى غير ذلك، فما من فن من افانين القول إلاّ أدلى بدلوه فيه.

لأدب السّجون خصائص تميزه عن غيره من الأدب، ومنها النزعة الإنسانية صدق التجربة، التصوير الفني، توظيف الرمز، التناص، الإيقاع والموسيقى( الجانب الشعري).

استطاع هذا الفن الخوض في عمران السّجون والحديث عنها بصدق وواقعية أجدر أن تكون بعيدة عن الخيال بشكل عفوي في وصف الألم والقهر والمعاناة، وأثر التعذيب الذي وقع على السّجين عندما تجرع الذل والمهانة.

لأدب السّجن قدرة كبيرة على فضح السلطة والحكم وهو أفضل شاهد على الهمجية التي يتعرض لها السّجين من قبل السّجان.

حمل أدب السّجون ممثلا في هذه الرواية بين طياته مجموعة من القضايا والمواضيع التي كانت في مجملها تصب في وصف الظلم والقهر وقوة التحدي، التغني بالوطن والحرية وذكر الإعتراب والشوق، والأكيد أنها تصف واقع السّجن والسّجين.

لم يأت هذا النموذج لنقل التجربة فقط إنّما تعدى ذلك ليرسم أبعادا فكرية وثقافية عن المجتمع داخل السّجن، كما أنه كشف لنا طبيعة العلاقات الارتباطات في هذا المجتمع وما تعرض له نزلاءه من التهميش والقهر، مما هو مسكوت عنه في نظر السجان أو السلطة الحاكمة.

لم يكن السجن بنظامه كما نراه بالعين المجردة إنما الدخول في ذاك العالم يشهدك على حقيقة غير واضحة المعالم من خلال معرفة الروابط والعلائق الموجودة بين أفراده والتي حكمتها أبعاد ايديولوجية فكرية ثقافية اجتماعية وسياسية.

# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع**

**أولا: المصادر**

أيمن العتوم: ياصاحبي السجن، دار الفارس للنشر والتوزيع، الاردن، ط2، 2013

**ثانيا: الكتب**

**أ: الكتب العربية**

**1.** أحمد الزغبي: التناص نظريا وتطبيقيا، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2000م.

**2.** أحمد المرزوقي: تزممارت الزنزانة رقم 10، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2012

**3.** أحمد بلعبكي وآخرون: جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والامة والوطن العربي، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، بيروت ط1، 2014.

**4.** أحمد حلمي: السجون المصرية في عهد الاحتلال الإنجليزي، قناة البصاص الوثائقية للتاريخ، مطبعة النجاح، مصر،ط1، 1911.

**5.** أحمد مختار البرزة: الأسر والسّجن في الشعر العربي "تاريخ ودراسة"، مؤسسة علوم القرآن، دمشق- بيروت، ط1، 1405هـ/ 1985م.

**6.** إيمان مصاروة: أدب السجون في فلسطين دراسة توثيقية، شبكة محررون الإصدار الالكتروني رقم 136، د.ب، د.ط، 2020م

**7.** البردوني: رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه، دار العودة، بيروت، ط1، 1978م.

**8.** بهاء الدين محمد ميزيد: النزعة الإنسانية في الرواية العربية وبنات جنسها، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط1، 2007-2008،

**9.** ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم: رسائل من السّجن لابن تيمية ، تق: محمد العبدة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط4، 1406هـ / 1986م،

**10**.جبار عبود آل مهودر: القضبان لا تضع سجنا، دار الكتب والوثائق، بغداد، د.ط، 2017م.

**11**.جودت الركابي: في الأدب الأندلسي، دار المعارف، مصر، ط2، 1944م.

**12**.حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي(قراءة موضوعاتية جمالية)، منشورات اتحاذ الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2001م.

**13**.حسن سليم نعيسة: شعراء وراء القضبان (من الأدب السياسي ) ، دار الحقائق للطباعة و النشر و التوزيع ، دمشق ،ط1، 1986م.

**14**.رأفت خليل حمدونة: الشتات...الحب المقاومة السجن والحرية، مؤسسة مهجة القدس، غزة–فلسطين، 1436ه/2015م.

**15**.رحاب منى شاكر: السجان في أدب السجون(1980–2008م)، منشورات مجلة الجمهورية الرقمية، برلين، 2020م

**16**.رضوى عاشور: لكل المقهورين أجنحة (الأستاذة تتكلم)، دار الشروق، القاهرة–مصر، ط1، 2019م

**17**.سالم المعوش: شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1424ه/2003م.

**18**.سمر روحي الفيصل: السجن السياسي في الرواية العربية دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ب، د.ط، 1983.

**19**.سمير روحي الفيصل: البناء والرويا (مقاربات نقدية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2003.

**20**.سهيل إدريس: المنهل: قاموس فرنسي– عربي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط39، 2008م.

**21**.سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، ط8، 2003م.

**22**.سيزا قاسم: بناء الرواية دراسة مقارنة في «ثلاثة» نجيب محفوظ، مهرجان القراءة للجميع مكتبة الأسر،د.ب، د.د،2004.

**23**.شوقي ضيف: البحث الأدبي: طبيعته مناهجه أصوله مصادره، دار المعارف، دمشق–سوريا، ط6، د.س،

**24**.شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، ط3، د.س.

**25**.طه وادي: الرواية السياسية، منتدى سور الأزبكية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان–القاهرة، د.ط، د.س.

**26**.عباس محمود العقاد: عالم السدود والقيود، منشورات المكتبة العصرية، بيروت–صيدا، د.ط، د.س.

**27**.عبد الحميد محمد شاذلي: الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ط، 1999م.

**28**.عبد الرحمان الكواكبي: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تح وتق: محمد عمارة، دار الشروق، مصر–القاهرة، ط2، 2009م.

**29**.عبد الرحمن منيف: بين الثقافة والسياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء –المملكة المغربية، ط4، 2007م،

**30**.عبد الرحيم حزل: الكتابة والسجن (حوارات ونصوص)، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء– المغرب، د.ط، 2008م.

**31**.عبد العزيز الحلفي: أدباء السجون، دار الكاتب العربي، (د.ب)، (د.ط)، (طبعة مزيدة ومنقحة )، (د.س).

**32**.عبد الفتاح خضر: تطور مفهوم السجن ووظيفته، جامعة نايف العربية، للعلوم الأمنية، الرياض، د.ط، 1984م.

**33**.عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، د.ب، د.ط،1988م.

**34**.عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط،2003.

**35**.عبد الوهاب البياتي: أباريق مهمشة (شعر)، منشورات دار الآداب، بيروت، ط4، 1969م،

**36**.عزيز حسين علي الموسمي: كتاب الناس النزعة الإنسانية في أدب زيد الشهيد الروائي، أمل الجديدة طباعة نشر وتوزيع، دمشق–سوريا، د.ط، د.س.

**37**.علي بن نايف الشحود: خلاصة في أحكام السجن في الفقه الإسلامي، د.د، د.ب، ط2، 1433هـ/2012م.

**38**.عمتوت عمر، موسوعة المصطلحات القانونية وقواعد الشريعة الإسلامية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة-الجزائر، ط2، 2010م.

**39**.عمر بو شموخة: الابداع في الفن الأدبي، منشورات أبيك، متيجة، د.ط، 2007م.

**40**.غسان كنفاني: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948م-1968م، دار منشورات الرمال، قبرص، طبعة سنة 2015.

**41**.ابن فارس (أبو الحسين أحمد): معجم مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1429هـ/2008م، مج:01، ج:01.

**42**.فاطمة العراقي/ على العراقي: مذكرات سجينة صفحات حمراء من تاريخ منسي، دار الفقه، العراق، ج1، د.ط، د.س.

**43**.فتحي عبد الفتاح: ثنائية السجن والغربة، دار الشروق، القاهرة-مصر، ط1، 1419هـ / 1998م.

**44**.أبي فراس الحمداني: ديوان أبي فراس الحمداني، عني بجمعه و نشره و تعليق حواشيه ووضع فهارسه: سامي الدّهّان، رواية: أبي عبد الله الحسين بن خالويه، مكتبة الدكتور مروان العطية، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، د.ط ، 1363هـ/1944م، ج:1.

**45**.أبو فرج الأصفهاني: الأغاني، تح: إحسان عباس، إبراهيم السعافين، وبكر عباس، دار صادر، بيروت-لبنان، ط3، 1429هـ / 2008م، مج:11

**46**.الفيروز آبادي (مجد الدّين محمّد بن يعقوب): القاموس المحيط، تح: أبو الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1428هـ/2007م.

**47**.فيصل دراج: الواقع والمثال مساهمة في علاقات الأدب والسياسة، دار الفكر الجديد، بيروت-لبنان، ط1، 1989م.

**48**.قانون إصلاح السجون (الجزائري)، ديوان المطبوعات الجامعية، رغاية-الجزائر، د.ط، 1979م.

**49.** كمال أبو ديب: في البنية الايقاعية للشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، د.س.

**50.** محمد التومي: أدب السجون في تونس ما بعد الثورة بين محنة الكتابة وكتابة المحنة، دار كلمة للنشر والتوزيع، تونس، ط2، 2020م.

**51.** محمد القاضي: الرواية والتاريخ: دراسة في تخييل المرجعي، نقلا عن: محمد التومي: أدب السجون في تونس ما بعد الثورة بين محنة الكتابة وكتابة المحنة.

**52.** محمد سعيد محمد: دراسات في الأدب الأندلسي، منشورات جامعة سبها، ليبيا، ط 1، 2001م.

**53.** محمد عابد الجابري: المثقفون في الحضارة العربية محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت–لبنان، ط2، 2000م.

**54.** محمد عادل فارس: لأنهم قالوا لا ناشرون بلاحدود، ط1، 1428هـ/2007م

**55.** محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، د.ب، د،ط،1977.

**56.** محمد يوسف نجم: فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 1995م،

**57.** محمود درويش: آخر الليل، 1967،

**58.** محمود درويش: عاشق من فلسطين، 1966،

**59.** مخلوف عامر: الرواية والتحولات في الجزائر (دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية) دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط،2000م

**60.** مسلم بن الحجاج (أبو الحسين): صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1412هـ/1991م، ج01، كتاب الزهد والرقائق.

**61.** مصطفى أمين: سنة أولى سجن، دار أخبار اليوم، القاهرة– مصر، د.ط، 1991.

**62.** مصطفى حجازي: الإنسان المهدور، دراسة تحليلية نفسية اجتماعية.

**63.** مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الانسان المقهور، المركز الثقافي العربي: المغرب– الدار البيضاء، ط9، 2005م.

**64**.مصطفى خليفة: القوقعة (يوميات متلصص)

**65**.معين بسيسو: دفاتر فلسطينية، دار الفرابي، بيروت، ط2، 1978م.

**66**.مفدي زكريا: اللهب المقدس، منتدى سور الأزبكية عاصمة الثقافة العربية، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية- الجزائر، د.ط، 2007م،

**67**.مقران فصيح: البناء اللغوي لشعر السجون عند مفدي زكريا وأحمد الصافي النجفي، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، عنابة-الجزائر، ط1، 2008.

**68**.ممدزح غدوان: حيونة إنسان، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ط2، د.س.

**69**.ابن منظور (جمال الدّين أبو الفضل محمّد بن مكرم): لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، مرا: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1426هـ/2005م، ج07.

**70**.هشام شرابي: النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1993م.

**71**.واضح الصّمد: السجون وآثارها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 1995م.

**72**.وضاح زيتون: معجم المصطلحات السياسية، نبلاء ناشرون وموزعون، الأردن- عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن- عمان، د ط، 2014م.

**73**.ألولي محمد: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1990.

**74**.يوسف شعبان: أدب السجون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 2014م.

**ب: الكتب المترجمة**

**75**.أحمد أبو زيد: الإنسان يبحث عن المعنى، مقدمة في العلاج بالمعنى، التسامي بالنفس، تر: طلعت منصور، مر: عبد العزيز القرصي، دار القلم، الكويت، ط1، 1402هـ-1972م.

**76**.إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006م.

**77**.أرسطو: فن الشعر، تر وتق وتع: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ب، د.ط، د.س.

**78**.تيري كوبرز: الجنون في غياهب السجون أزمة الصحة العقلية خلف القضبان ودورنا في مواجهتها، تر: أميرة علي عبد الصادق، مرا: هاني فتحي سليمان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2015م.

**79**.حنة أرندت: في العنف، تر: ابراهيم العريس، دار الساقي، لبنان-بيروت، ط2، 2015م.

**80**.دنيس كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، مر: طاهر نبيل، علي مولا مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 2007م.

**81**.الطاهر بن جلون: تلك العتمة الباهرة، تر: بسام حجار، دار الساقي، لبنان-بيروت، ط1، 2002م.

**82**.علي شريعتي: العودة الى الذات، تر: إبراهيم الدسوقي شتا، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1406هـ/1986م.

**83**.فيكتور هيجو: مذكرات محكوم عليه بالإعدام، تر: لطفي سلطان، دار الهلال، القاهرة، ط1، 1960م.

**84**.مارينا نعمت (Marina Nemat): سجينة طهران قصة امرأة داخل أحد السجون الإيرانية، تق فاطمة ناوت، تر: سهى الشامي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط3، 2014م.

**85**.محمد رضا خاكي قرامكي: الايديولوجيا في المصطلح والمفهوم وحقول الاستعمال، مرا: محمود حيدر، دار العتبة العباسية المقدسة، عراق، ط1، د س.

**86**.مولود زايد الطبيب: علم الاجتماع السياسي، منشورات جامعة السابع من أبريل، ليبيا، دار الكتب الوطنية، بنغازي-ليبيا-، ط1، 2007م.

**87**.ميشال فوكو: المراقبة والمعاقبة: ولادة السّجن، تر: علي مقلد، مرا: مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت-لبنان، د.ط، 1990م.

**88**.وليمو.لامبرت، وولاس إ.لامبرت، علم النفس الاجتماعي، تر.سلوى الملا، مرا: محمد عثمان نجاشي، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1413هـ/1993م.

**ثانيا: الموسوعات**

**89**.عبد الواحد لؤلؤة: موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1989، مج: 01.

**ثالثا: المجلات والدوريات**

**90**.إبراهيم الحوت: تاريخ السجون وأوضاع السجين في الإسلام بين الرحمة العامة والحقوق الخاصة، المقاصد، دورية ثقافية.

**91**.مجلة مقاليد، صادرة عن مخبر النقد ومصطلحاته، كلية الآداب واللغات، جامعة ورقلة، العدد:01، جوان 2011م.

**92**.بدر زكريا: شهادة حول المسرح في السّجن ولادة مسرح وموته، العدد: 17، تشرين الأول أكتوبر 2020م،

**93**. مجلة المورث، جامعة تيسمسيلت –الجزائر، مج: 09، العدد:02، 2021م.

**94**.مجلة العلوم العربية وأدبها، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة حمة لحضر، الوادي– الجزائر، العدد 2، مج 12، 2020/09/15.

**95**.مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، جامعة الشهيد حمه لحضر، الوادي–الجزائر، رقم: 04، 2020م.

**96**.إضاءات نقدية (فصلية محكمة )، السنة :08، العدد:32، 2018م.

**97**.مجلة الكلم(دورة محكمة)،مختبر اللهجات ومعالجة الكلام، جامعة وهران–1–، أحمد بن بلة، الجزائر، العدد:2017،04م.

**98**.مجلة الحوار المتمدن الإلكترونية، العدد: 1903، 2007/05/02م، (تاريخ التصفح: 7مارس2022م)، الساعة: 19.30 سا.

**99**. مجلة لغة– الكلام، مخبر اللغة والتواصل، جامعة غليزات– الجزائر، العدد:02، مج: 02،2021/03/07م.

**100.** جريدة الرأي العام، تونس، العدد259، السنة السادسة، 9ذي القعدة 1441/ 09جوان 2022.

**101.** جريدة الرأي العام، تونس العدد 190، السنة الرابعة، 8 جمادى الثاني، 1442هـ/ 21 جانفي 2021م

**102.** مجلة الدراسات القانونية، صادر عن مخبر السيادة والعولمة، جامعة يحي فارس المدية–الجزائر، العدد 2، المجلد 5، جوان2019م/ شوال 1440هـ.

**رابعا: الرسائل والمذكرات**

**103.** أحمد حمد النعيمي: النزعة الإنسانية في الرواية العربية المعاصرة (نماذج تطبيقية)، إش: محمود السمرة، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2005.

**104.** أيمن سليمان خالد التميمي: السجون في العصر العباسي ( 132-334هـ/750-966م) ،رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، 1997م.

**105.** شرين محمد حسن سليمان: دراسة تحليلية لنماذج روائية من أدب السجون، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، جامعة القدس، 1439هـ-2018م.

**106.** محمد مراح: هندسة المعنى في الشعر العربي المعاصر محمود درويش نموذجا، رسالة ماجيستر في تحليل الخطاب، كلية الآداب اللغات والفنون، جامعة وهران،2012م،201"م.

**خامسا: المواقع الإلكترونية**

**107.** زكريا بوغرارة: الأكف الممزقة، تق: الشيخ ياسر السري، مؤسسة وإسلاماه للإعلام، الطبعة الأولى الإلكترونية.

**108.** رأفت حمدونة: أدب السجون (الخصائص والمميزات)، https:// eljadide lyauwni.dz//، 2022/03/07م، 30min: 07h.

**109.** فاطمة مسلماني: أدب السجون، موقع فيلادلفيا المعرفة، 28ديسمبر2018م، 2022/03/07م، 35min: 07h

**110.** محمود حسين: لماذا ظهر أدب السجون؟ ولماذا هو مميز؟!، 28مايو2015م، www.limaza.com، 2022/03/05، 46min :14h.

**111.** محفوظ ولد خيري: إبداعات الحرية في باحات السجون، 2015/12/16م www.islamweb.net, 15/03/2022,10h:29min

**112.** موقع سطور: نبذة عن أيمن العتوم //http.www.solor.com 2022/06/27، 23:01

**113.** يوسف الشوفي: ثنائية السجين والسجان والعلاقات الإطظهادية في أدب السجون (دراسة نقدية بنيوية)، مركز ليفانت للبحوث والدراسات، ص 14، على الرابط: http://levant-ssc.com

# فهرس الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| بسملة | |
| شكر وعرفان | |
| مقدمة | ب–د |
| الفصل الأول: السّجن وأدبه: إحاطة إصطلاحية تاريخية | |
| المبحث الأول: مفهوم السّجن وتاريخيته عند العرب | 05 |
| المطلب الأول: تعريف السّجن | 05 |
| المطلب الثاني: تاريخية السّجن عند العرب | 07 |
| المبحث الثاني: أدب السّجون | 18 |
| المطلب الأول: مفهومه وعوامل ظهوره | 18 |
| المطلب الثاني: أجناس أدب السّجون وخصائصه | 23 |
| المبحث الثالث: قضايا أدب السّجون ومواضعه وأهدافه | 37 |
| المطلب الأول: قضايا أدب السّجون ومواضيعه | 37 |
| المطلب الثاني: أهداف أدب السّجون | 43 |
| الفصل الثاني: جدليّة السّجّان والسّجين في رواية "يا صاحبي السّجن لأيمن العتوم | |
| المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وروايته | 48 |
| المطلب الأول: التعريف بالمؤلف | 48 |
| المطلب الثاني: ملخص ومضمون الرواية وحيثيات كتابتها | 49 |
| المبحث الثاني: جدلية السّجّان والسّجين وتجلياتها في الرواية | 52 |
| المطلب الأول: تجليات السّجّان في الرواية | 52 |
| المطلب الثاني: تجليات السّجّين في الرواية | 54 |
| المطلب الثالث: جدلية العلاقة بين السّجّان والسّجين في الرواية | 57 |
| الخاتمة | 95 |
| قائمة المصادر والمراجع | 98 |

| | |
|---|---|
| فهرس المحتويات | 109 |
| ملخص الدراسة | |

**ملخص الدراسة**

عمدت هذه الدراسة إلى نوع أدبي لم يغفل عن الحضور منذ القديم بهذا الشكل والسياق لم يتداول إلاّ حديثا. لقد عرف باسم أدب السجون قد تطرقنا إلى الإحاطة به في فصلين نظري تحدثنا فيه بداية عن مفهوم السجن لغة واصطلاحا وتاريخيّته عند العرب بعدها تطرقنا لتعريف أدب السجون كما لخصنا عوامل ظهوره، قضاياه، وخائصه، أجناسه وأهدافه.

أما الجانب التطبيقي قد خصّصنا فيه دراسة العلاقات في مجتمع السجن وعليه وضعنا عنوان جدلية السّجّان والسّجين في رواية " يا صاحبي السّجن" لـ"أيمن العتوم" والتي اخترناها كمدونة نقلت أحداث تجربة سجنيّة شخصيّة لصاحبها، كما جسدت لنا مختلف علاقات أفراد هذا المجتمع.

**الكلمات المفتاحية**: الجدلية، أدب السجون، السّجان، السّجين، يا صاحبي السّجن، أيمن العتوم.

## Abstract

This study aims to identify a literary genre that has not neglected the presence since antiquity in this form and in this context has been disseminated recently. She was known as prison literature. We are focused on the two theoretical chapters the concept of prison, linguistically, idiomatically and historically among the Arabs. Then we discussed the definition of prison literature, as we summarized. The factors of its emergence, its stakes, its characteristics, its guys and its purposes.

In the practical part, we spent studying relations within the prison community. We also put the title of the prisoner's dialectic and the prisoner in the novel "O my prison companion" by Ayman Al-Atoum, that we choose as a blog telling the events of a personal prison experience to his owner. She had implocked the various relationships of the members of this company.

**Keywords**: dialectic, prisoner, prisoner, prisoner, O my prison companion, Ayman al-Atom.